1.

كتاب بغية الرائد
لما في حديث ام زرع من الفوائد.
تاليف القاضي الفقيه ابي الفضل.
عياض بن موسى بن عياض.
اليحصبي رحمه
الله تعالى.
امين.

٢٥٦

Mikrofilm Arşivi
No. 327

بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر وسهل

انا الفقيه الامام الحافظ فخر الحفاظ ناصر السنة شرف الدين ابو الحسن علي بن ابي المكارم المفضل
ابن علي المقدسي رضي الله عنه اجازة قال اجاز لي جماعة من اصحاب القاضي منهم ابو القاسم خلف بن
عبد الملك بن بشكوال الانصاري وابو الحسن علي بن عتيق بن مؤمن القرطبي وابو الوليد زكريا
ابن عمر بن احمد الانصاري وابو الطيب عبد المنعم بن يحيى بن خلف الحميري وابو محمد عبد الله بن محمد
ابن عبد الله الحجري وابو بكر محمد بن جبير بن عمر الاشبيلي قالوا انا الفقيه الاجل
القاضي الحافظ ابو الفضل عياض بن موسى بن عياض رحمه الله تعالى قال

الحمد لله رب العالمين وافضل صلواته على مصطفاه محمد خاتم النبيين
وافقت ادام الله توفيقك ونهج لمهيع الحق طريقك على ما سألت عنه من حديث
ام زرع وتفسير مشكل معانيه واعراضه وفتح مقفل غريبه والفاظه
فاستعنت الله على اجابتك واستمددته التوفيق الى الصواب من قصد ارادتك
والله يعصم كلانا بتقواه ويسبغ عليك النعماء بعزته لا اله سواه ورأينا
ان نبتدئ بالحديث وسياقة متنه مع اختلاف الفاظ نقلته وزيادة
بعضهم على بعض في سرده ثم نذكر بعد ذلك علة اسناده وشرح غريبه وغوامض
اعرابه ومعاني فصوله وما يتعلق به من فقه وتنفتح منه من فائدة
ونتحفه من وجه بحول الله تعالى وطرقنا في هذا الحديث كثيرة
متشعبة جئنا ببعضها عن ائمة شيوخنا وبعضهم يزيد على بعض في
متن الحديث بينهم اختلافات وزيادات ونقدم ونأخر تحفنا باكملها
رواية واحسنها سياقة ثم نقدم اشهر اسانيدنا منها اتباعا للابلاغ
واستظهارا لمن نهج لنا هذا السبيل من قدوة الاسلاف ونبهنا
على موضع الخلاف فيها فيما يفيد فائدة او يزيد فقرة شاردة ونثر
زيادات من غير الطرق التي ذكرناها جلبنا بعضها ونبهنا على ما امكن
منها والله ولي التوفيق. نا الشيخ الفقيه ابو محمد عبد الرحمن بن محمد
بن عتاب قراءة مني عليه قال نا ابو القاسم حاتم بن عبد الرحمن الطرابلسي
قال نا ابو الحسن علي بن خلف القابسي الفقيه ونا الشيخ الحافظ ابو علي
الحسين بن محمد الغساني فيما كتب به الي قال نا القاضي سراج ابن عبد الله
قال نا ابو عبد الله بن ابراهيم الاصيلي قالا نا ابو زيد محمد بن احمد المروزي

2

قال نا محمد بن يوسف قال نا محمد بن اسمعيل قال نا سليمان بن عبد الرحمن
وعلي بن حجر قالا نا عيسى بن يونس نا هشام بن عروة عن عبد الله بن عروة
عن عروة عن عائشة قالت جلس احدى عشرة امرأة ح ونا القاضي
ابو عبد الله محمد بن عيسى التميمي قراءة مني عليه فاقر به وشيخنا ابو الحسين
سراج بن عبد الملك الحافظ وغير واحد قالوا نا ابو مروان بن سراج الحافظ
قال انا ابو القاسم المهري قال نا ابو زكريا بن عائذ ح ونا ابو اسحاق ابراهيم
بن جعفر الفقيه قراءة مني عليه نا القاضي عيسى بن سهل قال نا ابو عبد الله
بن عتاب نا ابو المطرف القنازعي نا ابو عبد الله محمد بن يحيى قالا نا احمد بن خالد
قال نا علي بن عبد العزيز نا ابو عبيد القاسم بن سلام عن حجاج عن ابي معشر
عن هشام بن عروة وغيره من اهل المدينة عن عروة عن عائشة عن
النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اجتمعت احدى عشرة امرأة وقرأت على
القاضي الشهيد ابي علي الحسين بن محمد الحافظ حدثكم الامام ابو القاسم عبد الله
ابن طاهر التميمي البلخي عن الشيخ ابي بكر محمد بن عبد الله بن الحسين المغربي والفقيه
ابي عبد الله محمد بن احمد المحمدي والقاضي ابي علي الحسين بن علي بن محمد الوخشي قالوا
انا ابو القاسم علي بن احمد بن محمد الخزاعي قال انا ابو سعيد الهيثم بن كليب
الشاشي قال انا ابو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الحافظ قال نا علي بن حجر
انا عيسى بن يونس عن هشام بن عروة عن اخيه عبد الله بن عروة عن عروة
عن عائشة قالت احدى عشرة امرأة. وانا الشيخ ابو محمد عبد الرحمن بن محمد
العتابي قال حدثني ابي قال انا ابو محمد عبد الله بن ربيع التميمي قال نا
ابو بكر محمد بن معاوية القرشي قال نا ابو عبد الرحمن احمد بن شعيب
اخبرني ابراهيم بن يعقوب نا عبد الملك بن ابراهيم نا محمد بن محمد ابو نافع
نا القاسم بن عبد الواحد حدثني عمر بن عبد الله بن عروة عن عروة عن
عائشة قالت فخرت بمال ابي في الجاهلية وكان الف الف اوقية فقال
النبي صلى الله عليه وسلم اسكتي يا عائشة فاني كنت لك كابي زرع لام زرع
ثم انشأ الحديث ونا القاضي ابو علي الحسين بن محمد الصدفي والفقيه
ابو بحر سفيان بن العاص الاسدي سماعا عليهما وغير واحد قالوا انا الشيخ ابو
العباس احمد بن عمر العذري قال انا ابو العباس الرازي انا الفقيه ابو محمد عبد الله بن ابي

جعفر بقراتي عليه وغيره قالوا نا امام الحرمين ابو عبد الله الطبري قال نا عبد الغافر
بن محمد الفارسي قال هو والرازي نا ابو احمد الجلودي قال نا ابرهيم بن محمد بن سفيان نا
مسلم بن الحجاج نا علي بن حجر السعدي واحمد بن جناب كلاهما عن عيسى بن يونس نا
هشام بن عروة عن اخيه عبد الله بن عروة عن عروة عن عائشة وبعضهم يزيد على
بعض ولبعضهم زيادة من غير هذه الطريق واكثرها غرائب وزيادات ملحقة في
ابن الانباري من رواية الهيثم بن عدي عن هشام بن عروة انها قالت جلس احدى عشرة
امرأة في الجاهلية وفي رواية اجتمعن وفي اخرى جلسن ونسوة مكان امرأة
ووقع في بعض طرق النسائي جلس عشر نسوة فتعاهدن وتعاقدن وقال
بعضهم ان يتصادقن ولا يكتمن من اخبار ازواجهن شيئا قالت الاولى زوجي
لحم جمل غث ويروى على راس جبل وعر ويروى وعث لا سهل فيرتقى
ولا سمين فينتقى ويروى فينتقل وفي بعض الروايات على راس قوز وعث
ليس بلبد فيتوقل ولا سمين فينتقل ولا لي عنده معول ويروى ولا له عندي
معول قالت الثانية لا ابث خبره ويروى انث ويروى انبث اني اخاف ان لا
اذره زاد بعضهم ولا ابلغ قيده ان اذكره اذكر عجره وبجره قالت الثالثة
زوجي العشنق ان انطق اطلق وان اسكت اعلق وفي رواية على حد السنان
المذلق قالت الرابعة زوجي كليل تهامة زاد بعضهم والغيث غيث غمامه
لا حر ولا قر ولا مخافة ولا سآمة ويروى لا حر ولا وخامة زاد الهيثم ولا خامة
خلعة ولا امامه قالت الخامسة زوجي ان دخل فهد وان خرج اسد ولا يسئل عما عهد وقال
بعضهم يأكل ما وجد ولا يسئل عما عهد ولا يرفع اليوم لغد قالت السادسة زوجي
ان اكل لف ويروى رف بالراء ويروى اقتف وان شرب اشتف ويروى استف وان
اضطجع ويروى هجع التف واذا ذبح غثت ولا يولج الكف ليعلم البث ويروى
اللبث قالت السابعة زوجي عياياء او قال بعضهم او غياياء طباقاء كل داء له داء
شجك او فلك او بجك او جمع كلا لك قالت الثامنة زوجي الريح ريح زرنب والمس
مس ارنب واغلبه والناس يغلب قالت التاسعة زوجي رفيع العماد طويل
النجاد عظيم الرماد قريب البيت من الناد زاد بعضهم لا يشبع ليلة يضاف ولا
ينام ليلة يخاف قالت العاشرة زوجي مالك وما مالك مالك خير من ذلك له
ابل قليلات المسارح كثيرات المبارك اذا سمعن صوت المزهر ايقن انهن

هو

3

هوالك وفي بعض الروايات وهو امام القوم في المهالك وفي بعض الروايات
زوجي ابو ملك وما ابو ملك ذو ابل كثيرة المسالك قليلة المبارك وفي بعضها كثيرة
المسارح قليلة المبارح قالت الحادية عشرة زوجي ابو زرع وما ابو زرع
اناس من حلي اذني وفي رواية فرعي واذني وملأ من شحم عضدي ويروى
وبجحني فبجحت الى نفسي ويروى فبجحت نفسي الي ويروى فتبجحت ويروى
اذنيه وعضديه والية وجدني في اهل غنيمة بشق ويروى في اهلي ذات
غنيمة فجعلني في اهل صهيل واطيط ودائس ويروى فجعلني بين حامل
وصاهل ودائس ومنق فعنده اقول فلا اقبح وارقد فاتصبح واشرب
فاتقنح ويروى فاتقمح ورواه بعضهم فاتنقح زاد بعضهم واكل فاتمنح
ام ابي زرع فما ام ابي زرع عكومها رداح وبيتها فساح زاد بعضهم
وفناؤها فياح • ابن ابي زرع فما ابن ابي زرع كمسل شطبة وتشبعه
ذراع الجفرة وفي بعض الروايات ويروى ويقيته البيرة ويميس في
حلق النثرة • بنت ابي زرع طوع امها ويروى زين ابيها وزين
امها وغيظ جارتها ويروى عقر جارتها ويروى عبر جارتها ويروى
عبر جاراتها ويروى حير جارتها ويروى وحين وحبر وصفر ردائها
وملء كسائها ويروى ازارها وخير نسائها زاد الهيثم في روايته برود
الظل وفي الال كريم الخل • جارية ابي زرع لا تبث حديثنا
تبثيثا ويروى تنث بالنون فيهما ويروى لا تخرج حديثنا تنفيثا
ولا ينقل ويروى تفسد ويروى تنكث ويروى تنفث ميرتنا تنقيثا
ويروى تقشيشا ويروى ولا تغث طعامنا تغثيثا ويروى تعشش طعامنا
تعشيشا ولا تملا بيتنا تعشيشا ويروى تغشيشا زاد ابن عدي ولا
ولا تنجث عن اخبارنا تنجيثا • وزاد ضيف ابي زرع فما ضيف ابي زرع
في شبع وري ورتع طهاة ابي زرع فما طهاة ابي زرع لا تفتر ولا
تعدى تقدح قدرا وتنصب اخرى فتلحق الاخرة بالاولى • مال ابي
زرع فما مال ابي زرع على الجمم معكوسين وعلى العفاة

محبوبين قالت خرج ابو زرع يوما والاوطاب تمخض وفي رواية ابن
السكيت والوطاب تمخض فلقي امراة معها ولدان كالفهدين كالصقرين
يلعبان من تحت خصرها برمانتين ويروى من تحتها ويروي من تحت صدرها
ويروي فمرت بجارية شابة تلعب من درعها فطلقني ونكحها زاد بعضهم
فاستبدلت وكل بدل اعور فنكحت بعده رجلا ويروى شابا سريا ركب
فرسا شريا ويروي عربيا ويروى اعوجيا واخذ خطيا واراح علي نعما ثريا
واعطاني من كل رائحة ويروي سائمة زوجا وفي رواية واراح علي من
كل سائمة زوجين ومن ابرة اثنين وفي كتاب مسلم من كل ذي رائحة
وقال كلي ام زرع وميري اهلك فلو جمعت كل شيء اعطانيه ما بلغ اصغر انية
ابي زرع ويروي ولو جمعت كل شيء اصبته منه فجعلته في اصغر وعاء من
اوعية ابي زرع ما ملأه قالت عائشة قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم
كنت لك كابي زرع لام زرع وفي رواية ابن حبيب قالت عائشة وكان رسول
الله صلى الله عليه وسلم كثيرا ما يقول اذا دعيني يا عائشة كنت لك كابي
زرع لام زرع زاد في بعض الروايات انه طلقها واني لا اطلقك ذكره احمد
بن خلد في مسنده وكذا زاده مصعب الزهري وغيره عن هشام بن عروة
وروي مسدد عن اسمعيل بن ابي اويس عن ابيه عن هشام وقال فيه غير اني
لا اطلقك وفي رواية اخرى كنت لك كابي زرع لام زرع في الالفة و
الرفا لا في الفرقة والخلا رواها ابن الانباري وهو من معنى الرواية الاولى
وبهذا تتم الفائدة قالت عائشة قلت يا رسول الله بل انت خير لي من ابي
زرع وقد روينا من طريق الزبير بن بكار هذا الحديث بغير سياق من
تقدم وفيه زيادات ومخالفة فرايناه مما قد علي نصه نا الفقيه
الحافظ ابو بكر ابن محمد بن عبد الله املاء من لفظه سنة خمس وتسعين
واربعمائة قال نا ابو الحسين المبارك بن عبد الجبار الصيرفي قال نا
الشيخ ابو الحسين محمد بن عبد الله الاحدي بجعفر ابو الحسن الدارقطني قال
الشيخ ابو الحسين والقاضي ابو الحسين بن المهتدي وابو الفضل عبيد الله
بن احمد الكوفي قالا حدثنا ابو القسم عبيد الله بن احمد الصيدلاني المقرئ و
اللفظ له قالا حدثنا يزداد بن عبد الرحمن الكاتب نا الزبير بن بكار نا

تحتها و

محمد الضحاك

4

محمد بن الضحاك بن عثمان عن عبد الله العزيز محمد عن هشام ابن عروة عن
ابيه عن عائشة قالت دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم وعندي
بعض نسائه فقال يا عائشة انا لك كابي زرع قالت يا رسول الله وما حديث
ابي زرع وام زرع قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان قرية من قرى
اليمن كان بها بطن من بطون اليمن وكان منهم احدى عشرة امراة وانهن
خرجن الى مجلس لهن فقال بعضهن لبعض تعالين فلنذكر بعولتنا
بما فيهم ولا نكذب قال فبايعن على ذلك فقيل للاولى تكلمي نعت
زوجك فقالت الليل ليل تهامة والغيث غيث غمامه ولا حر ولا
وخامه قيل للثانية وهي عمرة بنت عمرو قولي فقالت المس مس ارنب
والريح ريح زرنب واغلبه والناس يغلب فقيل للثالثة تكلمي وهي حبا
بنت كعب قالت ملك وما ملك له ابل كثيرة المسارح عظيمة المباركة
اذا سمعن صوت الضيف ايقن انهن هوالك فقيل للرابعة تكلمي وهي
مهدد بنت ابي هرمة قالت زوجي لحم جمل غث على جبل وعث لا سهل فيرتقى
ولا سمين فينتقل فقيل للخامسة تكلمي وهي كبشة قالت زوجي رفيع
العماد كثير الرماد قريب البيت من الناد لا يشبع ليلة يضاف ولا ينام
ليلة يخاف فقيل للسادسة تكلمي قالت زوجي كل داء له داء ان حدثته سبك
وان مازحته فلك والا جمع كلا لك فقيل للسابعة تكلمي وهي حبا بنت علقمة
قالت زوجي اذا خرج فهد واذا دخل فاسد ولا يسأل عما عهد ولا يرفع
اليوم لغد فقيل للثامنة تكلمي وهي ابنة دوس بن عبد قالت زوجي اذا
اكل لف واذا شرب اشتف ولا يدخل الكف فيعلم البث فقيل للتاسعة
تكلمي قالت زوجي هو من لا اذكره ولا ابث خبره اخاف الا اذره ان اذكره
اذكر عجره وبجره فقيل للعاشرة تكلمي وهي كبشة بنت الارقم قالت
نكحت العشنق ان سكت علق وان تكلمت طلق فقيل لام زرع بنت اكيمل
بن ساعدة وسماها الدهري في غير هذا الحديث عاتكة ذكر ذلك في كتابه
المستقى بالوشاح تكلمي قالت ابو زرع وما ابو زرع اناس من حلي اذني
وملا من شحم عضدي وبجحني فبجحت وجدني في غنيمة اهلي فنقلني الى اهل خامل
وصاهل فبينما انا عنده ايام فلا اقبح فاتصبح واشرب فاتقمح وانكل فلا

اقنح وبنت ابي زرع وما بنت ابي زرع مضجعها مسل الشطبة ويشبعها
ذراع الجفرة وليدة ابي زرع وما وليدة ابي زرع لا تفسد ميرتنا تنقيثا
ولا تخرج حديثنا تنبيثا فخرج من عندي ابو زرع والاوطاب تمخض فاذا
هو بام غلامين كالفهدين يرمي من تحت خصرها كالرمانتين فتزوجها
ابو زرع وطلقني واستبدلت بعده وكل بدل اعور فتزوجت شابا
سريا ركب اعوجيا واخذ خطيا واراح نعما ثريا فقال كلي ام زرع وميري
اهلك فجمعت اوعيته فلم تعدل وعاء واحدا من اوعية ابي زرع قالت فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم انا لك كابي زرع لام زرع قال ابو بكر الخطيب
هذا حديث غريب لا اعلم رواه هكذا الا محمد بن الضحاك وقال ابو الحسن
الدارقطني وذكر حديث محمد بن الضحاك عن الدراوردي هذا قال وسمي فيه
النسوة ونسبهن قال وابعد الزبير بن بكار عن عمه مصعب عن ابيه عبد
الله عن هشام بنحو حديث الدراوردي بريد ما ذكره من الزبير بعد هذا
بسنده المقدم عنه فانه قال عنده تمام الحديث قال الزبير وحدثني
عمي مصعب بن عبد الله عن جدي عبد الله بن مصعب عن هشام بن عروة
مثله وزاد وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا لك كابي زرع لام زرع
الا انه طلقها واني لا اطلقك زاد النسائي في مسنده عن عبد الرحمن بن محمد بن
قال نا الحارث سعيد بن المثنى نا عباد بن منصور عن هشام عن ابيه
عن عائشة قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عائشة كنت لك كابي زرع
لام زرع قالت عائشة بابي وامي يا رسول الله بل انت خير لي من ابي زرع
وذكر نحو حديث عمر بن عبد الله بن عروة عن عروة عن عائشة التفسير للسند
اختلف في سند هذا الحديث ورفعه مع انه لا اختلاف في صحته وان الائمة
قد قبلوه وخرجوه في الصحاح مسلم والبخاري ومن بعدهما ولا مخرج له فيما
انتهى الينا الا من رواية عروة عن عائشة رضي الله عنها وروي من غير طريق
عن عروة عنها من قول النبي صلى الله عليه وسلم كله هكذا رواه عباد بن منصور
وعبد العزيز بن محمد الدراوردي وعبد الله بن مصعب الزهري ويونس بن ابي
اسحاق السبيعي كلهم عن هشام بن عروة عن ابيه عن عائشة عن النبي صلى الله
عليه وسلم وهكذا رواه ابو معشر عن هشام الا انه قال عن هشام وعن

من

من اهل المدينة عن عروة عن عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم ورواه
ايضا ابو معشر عن عبد الله بن اسحاق الطلحي عن عائشة واسنده
بطوله وكذلك رفعه القاسم بن عبد الواحد الا انه قال حدثني
عمر بن عبد الله بن عروة عن عروة عن عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم هكذا
قال النسائي عن عروة عن عائشة وقال الدارقطني عن ابيه عن عائشة فجعلوه
من قول النبي صلى الله عليه وسلم نصا من غير اجتماع واسندوه بطوله و
هكذا ظاهر رواية حنبل بن اسحاق عن موسى بن اسمعيل المنقري عن
سعيد بن سلمة عن هشام الا انه قال عن هشام عن اخيه عن ابيه عن عائشة
قالت قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم كنت لك كابي زرع لام زرع
ثم انشا يحدث حديث ام زرع وساق الحديث بطوله وكذا قال احمد
بن داود الحداني عن عيسى بن يونس عن هشام بن عروة عن اخيه عبد الله
عن ابيه عن عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم وكذلك حكاه عبد القاسم
بن سلام وكذلك رفعه الهيثم بن عدي عن هشام الا انه قال عن اخيه
يحيى بن عروة عن عروة وساقه كله من قول النبي صلى الله عليه وسلم نصا.
ورواه علي بن حجر وابن خباب وسليمان بن عبد الرحمن ومحمد بن جعفر
عنه وهشام بن عمار ومحمد بن جعفر الوركاني وصالح بن مالك الخوارزمي
عن عيسى بن يونس عن هشام بن عروة عن عبد الله بن عروة عن عروة عن
عائشة من قولها وكذلك اسنده سويد بن عبد العزيز عن هشام وحسن
الحلواني عن ابن ابي الحسام عنه وكذلك رواه ابو عبيدة عن ابيه عقبة
بن خالد عن هشام الا انه قال عن هشام عن ابيه عن عائشة وهكذا
قاله ابن ابي اويس عن ابيه عن هشام وكذا قال يوسف بن زياد
وسليمان بن بلال وعبد الرحمن بن ابي الزناد عن هشام وابو معاوية
الضرير عنه مختصرا وكذا اسنده داود بن شابور عن عمر بن عبد الله بن
عروة عن عروة وبقيا لا عن ابيه عن عائشة من قولها وقال عقيل بن خالد
ايضا قال هشام وحدثني يزيد بن رومان عن عروة عن عائشة عن
النبي صلى الله عليه وسلم مثله مختصر ابن بقية له كنت لك كابي زرع لام زرع
وكذا قال ابو اويس وابرهيم بن ابي يحيى عن يزيد بن رومان عن عروة عن

عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم بمثله وكذلك رواه ابو الزناد عن
عروة عن عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ابو عبد الرحمن النسائي بأثر
حديث عقبة يعني آخر الحديث يريد قوله كنت لك كأبي زرع لام زرع وقد
وقع مفسرا عنه عن ابي عبد الرحمن فذكر احمد بن عمرو البزار رواية عقبة عن
هشام عن يزيد بن رومان عن عروة عن عائشة قال لاحمد دون كلمه حرفا
وقال كنت لك كأبي زرع لام زرع وفي رواية الانباري عن عروة انما اراد
هذا الحديث لهذا الحرف فذكره قال الفقيه القاضي ابو الفضل رضي الله عنه
ولا خلاف في رفع قوله في هذا الحديث كنت لك كأبي زرع لام زرع وانما
الخلاف في بقيته وقد قال ابو بكر بن ثابت الخطيب المرفوع من هذا الحديث
الى النبي صلى الله عليه وسلم قوله لعائشة كنت لك كأبي زرع لام زرع
وما عداه فمن كلام عائشة رضي الله عنها حدثت به النبي صلى الله عليه
وسلم بيّن ذلك عيسى بن يونس في روايته وابو اويس وابو معاوية الضرير
وقد روي ان القائل في حديث سعيد بن سلمة ثم انشأ يحدث الحديث
هو هشام وحكي ان اباه انشأ يحدث الحديث واوهم السامع بذلك
ان عائشة رضي الله عنها اخبرت بذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم
وقال ابو الحسن الدارقطني الصحيح عن عائشة انما هي حدثت النبي
صلى الله عليه وسلم بقصة النسوة فقال لها حينئذ كنت لك كأبي
زرع لام زرع وقول عيسى بن يونس وسعيد بن سلمة وسويد بن عبد
العزيز ومن تابعهم عن هشام عن اخيه عبد الله عن ابيه عن عائشة هو
الصواب ولا يدفع قول عقبة عن هشام عن يزيد بن رومان عن عروة
عن عائشة **التعريف** ذكر في الخبر المتقدم ان هؤلاء النسوة كن
في زمن الجاهلية وذكر في الخبر الآخر الذي رواه الدراوردي انهن من
بطن من بطون اليمن وانا ابو الحسين علي بن محمد الشابه الاديب انه وقف
على تعليق بخط ابي محمد بن علي بن احمد الفارسي في قصتهن فذكر فيه
انهن من خثعم وخثعم بطن من بطون اليمن كما ورد في الحديث المتقدم
وهو خثعم ابن انمار بن اراش ويقال اراش بن عمرو بن الغوث ابن نبت
بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبا بن يشجب بن يعرب بن قحطان كذا

قال

6

قال الهمداني وحكى ابن اسحاق عن اليمنيين اراش بن لحيان بن عمرو ويقال
ابن عمرو بن لحيان ابن الغوث ونساب مضر يقولون ان خثعم من انمار بن نزار و
انهم خالفوا اولاد انمار بن سبا فجرت انمار بن سبا في بني سبا باسم ابيهم و
الاول اصح ويعضده حديثه عليه السلام في ذكر سبا وولده فسمى
منهم انمار ثم قال الغربي منهم خثعم وبجيلة قال الهمداني واسم خثعم
افتل وسمي خثعم باسم جبل نزله بنوه وقيل باسم جمل كان له اسمه خثعم
فيقال احتمل خثعم ونزل خثعم وقيل بل نحروا عنده تحالفهم بعيرا ف
تلطخوا بدمه وهو التخثعم في لغتهم وقد روي في هذا الحديث في رواية
احمد بن عبيد بن ناصح الهيثم بن عدي الطائي بسنده عن عائشة قالت
قال لي النبي صلى الله عليه وسلم وقد اجتمع عنده نساء يتحدثن بذلك
يا عائشة انا لك كأبي زرع قالت يا رسول الله ومن ابو زرع قال اجتمع نسوة
من قريش فكن احدى عشرة امرأة وساق الحديث بطوله فيه مخالف للاول
والهيثم بن عدي عندهم متكلم فيه قال البخاري الهيثم بن عدي على علمه
وفضله يروي مناكير وضعفه ابو حاتم الرازي ويحيى بن معين وقرأت
في كتب بعض الادباء ان امرأة زوجت احدى عشرة ابنة في ليلة واحدة
ودخل عليهن ازواجهن فامهلتهن سنة ثم زارتهن فسالت كل واحدة
عن زوجها فاخبرتها بصفته فوافق من حديث ام زرع كلام مصاحبة
المس مس ارنب نعته وصاحبه رفيع العماد وصاحبة زوجي لحم جمل
غث وخالفت الباقي وبينه انه حديث موضوع فان الناظر يتبين عن
عبرة ذلك اذا كثر على بعض حديث ام زرع ولا يصح ان يكون هو هذا لصحة
مسند حديث ام زرع وضعف هذا وانا قد ذكرنا في بعض روايات
حديث ام زرع ما دل انهن عن اخوات والموفق الله **الغريب** ووقع في
بعض روايات النسائي لهذا الحديث اجتمعن وفي رواية الطبري من حديث
مسلم بن يحيى ابو عبد الله بن محمد الفقيه عنه جلس احدى عشرة امرأة وفي
بعضها نسوة وهكذا وجدتها في اصل الاصيلي ابي محمد بخطه داخل
الكتب واصل كتابه على رواية ابي احمد الجرجاني احد شيوخه في الصحيح
المذكور ورواه ابو عبيد القاسم بن سلام هذا الحرف اجتمعت بالتاء فقيد

الكلام في هذا الفصل في محلين **المحل الأول** قوله اجتمعن وجلسن
او اجتمعت احدى عشرة فاظهر في هذه الروايات علامة التأنيث ونون
الجماعة مع تقدم الفعل وبابه في العربية والاحسن في الكلام
حذفه وترك علامة التأنيث والجمع وافراد الفعل قال سيبويه
حذف وذلك اكتفاء بما اظهروا به من صيغة الجمع والتثنية فقالوا
قام ابواك وقام قومك واستغنوا بما اظهروا عن قاموا وقاما
وكذا فعلوا في المؤنث فقالوا قالت جاريتاك وقالت نساؤك لانهم
ادخلوا التاء للتأنيث وحذفوا علامة الجمع والتثنية كما فعلوا في المذكرين
ولو بدأت باسمائهم لم يكن بد للمضمر ان يجيء بمنزلة المظهر في المذكر والمؤنث
والتثنية والجمع فيتفق لا اخوال قالوا وقومك قالوا وجاريتاك قالتا
ونساؤك قلن لانه قد وقع هنا اضمار في الفعل وهو اسماء المذكورين
فلم يكن بد ان يجاء به مجيء المظهر والفعل المتقدم لم يكن فيه اضمار
فيظهر وليست تاء التأنيث فيه علامة اضمار فيلزم اظهارها في
الجميع وانما هي علامة تأنيث كما طلحة هذا تعليل سيبويه واما
الفارسي فقال لزمت التاء ها هنا في المؤنث الحقيقي ليشعر بتأنيثه
حسب لزومه له وحقيقته ولم يلزم في ذلك الجمع والتثنية اذ ليسا
بلازمين لزوم التأنيث وقد قال بعض العرب قال امرأة كانهم جعلوا
اظهار المؤنث بعده يغني عن العلامة وهو اذا طال الكلام احسن و
اكثر كما قال لقد ولد الاخيطل ام سوء . قال سيبويه وهو في الواحد
الحيوان قليل يريد فيما تأنيثه حقيقي وهو في المؤنث كثير يريد ما
ليس بحقيقي التأنيث وهو في القرآن العزيز بالوجهين فمن جاءه
موعظة من ربه فانتهى وقد جاءتكم موعظة واخذ الذين ظلموا
الصيحة واخذت الذين ظلموا الصيحة ولو كان بهم خصاصة وكذلك
اذا تقدم الفعل جماعة مؤنث حقيقيا او غيره ففيه وجهان
قال الله تعالى وقال نسوة في المدينة وجاءهم البينات وجاءتكم
البينات . وقالت رسلهم وجاءتهم رسلنا واستيئس الرسل لانه
يصلح فيه جماعة وجمع وجميع قال ومن العرب من يقول ضربوني قومك

وضرباني

وضرباني اخواك فشبهوها بالتاء المظهرة في قالت جاريتك كانهم
ارادوا ان يجعلوا للجمع علامة كما جعلت وهي قليلة كما قال
الفرزدق • يعصرن السليط اقاربه • وقال الآخر • يلومونني في
اشتراء النخيل اهلي فكلهم يعذل • وعلى هذا حمل الاخفش قوله
تعالى واسروا النجوى الذين ظلموا • وفي صحيح حديثه صلى الله
عليه وسلم يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار وقول
بعض العرب اكلوني البراغيث قال الفقيه القاضي واذا قررت ذلك
فكلام امام الجماعة وحذاق الصناعة ما رأيت نظرت في قوله
اجتمعن وجلسن احدى عشرة فان حملته على هذه اللغة الاخيرة •
وتأويل الاخفش في الآية كان وجها حسنا • وفيه وجه آخر وهو ان يحمله
على المعروف في الكلام ويجعل احدى عشرة بدلا من الضمير في اجتمعن
وهذا تأويل سيبويه في الآية وحكاه عن يونس • قال وكانه قال انطلقوا
فقيل من هم فقيل بنو فلان • ولكن يتحقق هذا في الحديث بان يقدر انه
صلى الله عليه وسلم اخبر عنهن على الوجه وقد جرى من ذكر الخبر ما صدر كالمخبر
عنهن بتأخير الفعل وانهن في نفسه وذكره مقدمات وتكون النون ضمير اسما
لا حرف علامة فتكون ما بعده هاهنا لان منها كما كان في الآية ليقال الذين
تعود عليه الضمير الا ترى انه قد جرى شيء منهن قبل وهو قوله صلى الله
عليه وسلم كنت لك كابي زرع لام زرع ثم سؤال عائشة له عن قصة
ام زرع قالت فانشأ يحدثنا الحديث وقد يكون ايضا قوله احدى عشرة
خبر المبتدأ المضمر كانه قيل من هن فقال هن احدى عشرة وهو احدى
التأويلات في الآية وبها قدر سيبويه فيها الابدال وفيه وجه
رابع ان يجعل احدى عشرة نصبا باعني وهو احسنها [illegible] الآية وفي الآية
وجوه اخر غير هذه لا نطول بذكرها اذ ليست من غرضنا واما على رواية
ابي عبيد فعلى احد الوجهين المعروفين في تقدم الفعل الجماعة كما ذكرناه
المحل الثاني احدى عشرة نسوة وباب العدد في العربية ان ما بين الثلاثة الى
العشرة مضاف الى جنسه لتفسيره وتوضيحه ومن احد عشر الى تسعة وتسعين مميزا بواحد
منصوب على التمييز يدل على جنسه وما بعده هذا مضاف الى واحد من جنسه وقد جاء هنا

النسق وهو جنس بعد احد عشر وهو خارج عن وجه الكلام ولا يصح نصبه على التفسير
اذ لا يفسر في العدد الا بواحد ولا يصلح اضافة العدد الذي قبله اليه اذ لا يضاف
ما بعد العشرة من العدد الى المائة فوجه نصبه عندي على اضمار اعني ويكون مرفوعا
بدلا من احدى عشرة وهو الاظهر فيه وعلى هذا اعرب قوله تعالى وقطعناهم
اثنتي عشرة اسباطا امما فالاسباط بدل من اثنتي عشرة وليس بتفسير قاله الفارسي
وغيره وحمل هذا الموضع من الحديث على هذا اولى عندي واحسن وبالله التوفيق
الفقه في استعمال هذا الحديث من الفقه حسن عشرة الرجل مع اهله
وتانيسهن به واستحباب محادثتهن بما لا اثم فيه كما فعل النبي صلى الله
عليه وسلم ههنا بحديثه لعائشة ومن كان معها من ازواجه بخبر هؤلاء
النسوة وهكذا ترجم البخاري عليه باب حسن المعاشرة مع الاهل وقد
وردت الاثار الصحاح الصحيحة بحسن عشرته صلى الله عليه وسلم لاهله و
مباسطته اياهم وكذلك عن السلف الصالح وقد كان مالك رضي الله عنه يقول في
ذلكم مرضاة لربك ومحبة في اهلك ومثراة في مالك ومنساة في اجلك قال
وقد بلغني ذلك عن بعض اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وكان مالك رحمه الله
من احسن الناس خلقا مع اهله وولده وكان يقول يجب على الانسان
ان يتحبب الى اهل داره حتى يكون احب الناس اليهم **وفيه من الفقه** منع
الفخر بحطام الدنيا وكراهته الا ترى ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لعائشة
حين فخرت في اول هذا الحديث بمال ابيها قال لها اسكتي يا عائشة ثم اتبعه
انسها بان فخر عندها فخرا احرى واولى بها واسعد لها بقوله كنت لك
كابي زرع لام زرع فمكانتها منه ومحبته وزوجيته وحسن عشرته
وكثرة منفعتها لدينها ودنياها به صلى الله عليه وسلم اعرق في الفخر
وارفع في الصيت والذكر من كثرة مال ابي بكر رضي الله عنه **وفيه من الفقه**
جواز اخبار الرجل زوجه واهله بصورة حاله معهم وحسن صحبته
اياهم واحسانه اياهم وتذكيرهم بذلك تطييبا لانفسهم واستجلابا لمودتهم
واذا جاز له ان يكذبهم ويبيح له ان يمنيهم بالمواعيد غير الصادقة فهذا
احرى فاذا جاز من النساء كفران العشير جاز تذكيرهن بالاحسان لهن
وحسن ذلك منه لهن **وفيه من الفقه** اكرام الرجل بعض نسائه بحضرة

ضرائرها بما يؤثرها به من قول وفعل وتخصيصها بذلك كما قالت عائشة رضي الله
تعالى عنها ليحدثني بذلك ولانها كانت مقصودة بهذا الحديث وهذا اذا لم
يكن بقصد الاثرة والميل بل لسبب اقتضاه ومعنى اوجبه من تانيس وحشة
بدت منها او مكافاة جميل صدر عنها وقد اجاز له بعض اهل العلم
تفضيل احداهما على الاخرى في الملبس اذا وفى الاخرى حقها وان يتحف
احداهما ويلاطفها اذا كانت شابة او هي ابر به ولمالك نحو من هذا و
لاصحابه قال ابن حبيب والمساواة اولى والمكروه من ذلك كله ما قصد به
الاثرة والميل والتفضيل لا لسبب سواه والنبي صلى الله عليه وسلم وان لم يكن
العدل في القسم بين النساء واجبا عليه لقوله عز وجل ترجي من تشاء منهن
وتؤوي اليك من تشاء فقد التزمه صلى الله عليه وسلم واخذ به نفسه
تفضلا منه وتخلقا بالعدل وليقتدي به امته حتى قال اللهم هذا
قسمي فيما املك فلا تؤاخذني فيما لا املك يريد القلب **وفيه من الفقه**
جواز تحدث الرجل مع احدى زوجاته ومجالستها في يوم الاخرى ومحادثته
اياها لقول عائشة رضي الله عنها قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقد اجتمع عنده نساؤه وفي الرواية الاخرى دخل رسول الله صلى الله عليه
وسلم وعندي بعض نسائه فالظاهر انه في بيتها وقد روي عنه في
الصحيح انه صلى الله عليه وسلم كان اذا صلى العصر دخل على نسائه فيدنو
من احداهن وانهن كن يجتمعن عند التي هو في يومها وقد اختلف العلماء
في هذا فاجاز بعضهم وقال مالك في كتاب محمد باجازة دخوله عند احدى
نسائه في يوم صاحبتها لحاجة او عيادة او يضع ثيابه عندها اذا كان
ذلك منه على غير الميل وقد ذكر بعضهم انه لا يختلف فيما علمه في التحول
الخفيف للحاجة بعضها قال وليس حقيقة القسم الا بالليل خاصة
ووقع لمالك ايضا لا يقيم عندها الا لامر لا بد منه وعن معاذ انه
كانت له زوجتان فكان لا يشرب الماء من عند احداهما في يوم الاخرى وقال
عبد الملك بن الماجشون يقف بباب احداهن ويسلم ولا يدخل وتاول اهل
هذه المقالة ما روي عنه عليه السلام في الحديث المذكور خصوصا للنبي
صلى الله عليه وسلم اذ لم يكن القسم واجبا عليه كما تقدم وانه انما كان يفعل

صلى الله عليه هذا نادرا واحيانا وغالب امره العدل والتسوية ليستن العدل
وحسن العشرة وفيه من الفقه حسن الحديث عن الامم الخالية والاجيال
البائدة والقرون الماضية وضرب الامثال بهم لان في سيرهم اعتبارا للمعتبر
واستبصارا للمستبصر واستخراج الفائدة للباحث المستكثر فان في
هذا الحديث لسيما اذا حدث به النساء منفعة في الحض على الوفاء
للبعول والندب لغض الطرف والقلب والشكر لجميل فعلهم وحسن
المعاشرة منهم كحال ام زرع وما ظهر من اعجابها بابي زرع وثنائها
عليه وعلى جميع اهله وشكرها احسانه لها واستصغارها كل شيء
كل شيء بعده وبسبب قصتها كان جلب الحديث كما وقع مبينا في
بعض الروايات مع ما فيه من التعريف بصبر الاخر اللاتي ذممن ازواجهن
في الصبر على ما يكون من الازواج والاعلام بما تحملنه من سوء عشرتهم و
شراسة اخلاقهم ليقتدي بذلك النساء من بلغها خبرهن في الصبر على
ما يكون من الازواج وما نسي من تقدمها في ذلك وفيه من الفقه التحدث
بملح الاخبار وطرف الحكايات تسلية للنفس وجلاء القلب وهكذا
ترجم ابو عيسى الترمذي عليه باب ما جاء في كلام رسول الله صلى الله
عليه وسلم في السمر وادخل في الباب هذا الحديث وحديث خرافة ويروى
عن علي رضي الله عنه انه قال سلوا هذه النفوس ساعة بعد ساعة فانها
تصدا كما يصدى الحديد ويروى عن عبد الله بن عباس انه كان يقول اذا
افاض من عنده في الحديث بعد القران والتفسير احمضوا اي اذا مللتم من
الحديث والفقه وعلم القران فخذوا في الاشعار واخبار العرب كما ان الابل
اذا ملت ما حلا من النبت رعت الحمض وهو ما ملح منه ومنه قول الزهري
هاتوا من اشعاركم فان الاذن مجاجة وللنفس حمضة اي انها تشتهي الشيء
بعد الشيء كما تفعل الابل ومنه قول ابي الدرداء اني لاستجم نفسي ببعض
اللهو ليكون ذلك عونا لي على الحق وقال علي رضي الله عنه القلب اذا اكره عمي
وقال بعض الحكماء ان للاذان مجة وللقلوب ملالا ففرقوا بين الحكمتين يكون
ذلك استجماما وهذا كله ما لم يكن دائما متصلا وانما يكون في النادر كما
قال ساعة بعد ساعة واما ان يكون ذلك عادة الرجل حتى يعرف بذلك

ويتخذ

9

ويتخذ ديدنا ويطرب به الناس ويضحكهم دائبا فهذا مذموم غير محمود
دال على سقوط المروءة ورذالة الهمة وخلع برد نزاهة النفس واطراح ربقة
الوقار والسمت من عنق صاحبه في باب المجون والسخف وقد عد هذا الفقهاء
فيما يقدح في عدالة الشاهد فذكر ابو بكر الابهري وغير واحد من ائمتنا ان
التزام المروءة مشترطة في العدالة وهو قول للشافعي وائمة اصحابه وذكر
شيخنا الامام ابو بكر محمد بن الوليد الفهري ان الشاهد يتنزه عن كل ما يسقط
مروءته من الاكل على الموائد في الاسواق والطوفان غير مستحق وكشف راسه و
تدنيه بحضرة الناس ومد رجليه بحضرتهم والحكاية المضحكة وذكر اهله
بالسخف قال فهذا كله وما يشبهه يسقط العدالة عند العلماء ولا تقبل
الشهادة معها قال الفقيه القاضي ادام الله توفيقه وما قاله صحيح لان
المداومة على هذا مما يسقط مروءة ذوي الهيئات ويزيل سمت اصحاب
السمت والتصاون واشتراط التزام المروءة مشترط في الشهادة والعدالة كاشتراط
اجتناب المحارم ولكن لكل واحد مروءة ولهذا قالوا ملتزما لمروءة مثله وقد
قال بعض ائمتنا المالكيين وهو ابو القاسم بن محرز المروءة المطلوبة
في الشاهد هي الصيانة والسمت الحسن وحفظ اللسان وتجنب السخف والمجون
وكل خلق دني وقال بعض ائمة البغداديين العدالة عبارة عن استقامة
السيرة والدين ويرجع حاصلها الى هيئة راسخة في النفس تحمل على ملازمة
التقوى والمروءة جميعا قال وقد شرط في العدالة التوقي عن بعض المباحات
القادحة في المروءة نحو الاكل في الطرق والبول في الشارع وصحبة الارذال والافراط
المزاح وقال القاضي ابو بكر بن الطيب في صفات العدل تجنبه ما يمرض القلوب
ويورث التهمة فيما حكاه قال ومن علمائنا من صار الى التوقي عن المباحات
القادحة المروءة كالجلوس في الاسواق والاكل على الطرقات ومصاحبة الارذال
والاكثار من المداعبة تقدح في العدالة قال ولا اقطع بذلك وعندي ان ذلك مفوض
الى اجتهاد القاضي فرب شخص في نهاية التبدي وتجنب التكلف بحيث
ذلك منه ولا يتهم ورب شخص يؤذن ذلك منه بقلة المبالاة وهذا يختلف
باختلاف الاوقات والاشخاص والاحوال وهو مفوض الى الاجتهاد قال الفقيه
القاضي ابو الفضل رضي الله عنه وما قاله القاضي سيف السنة من ذلك صحيح حسن بين

وهو معنى قول عنز الذي قدمناه من أن لكل أحد مروة ما فتلك معنى
وذلك أن من سقط مروته ولم يتبل بما دل على اختلال في مره اذ لم يحفظ
لنفسه ولا اهتبل بصلاح خاصته ويعدت بذلك لدنى دينه ولم يسلم الى
باطنه لما اضطرب علينا ظاهرهم وهذه نكتة بالغة في هذا الفصل تغلغل القول
القول بها لعلك لا تجدها بهذا البيان في غير هذه الأوراق وتتطاش بينهم القول
اعترض العرض عليك بما اقتضيناه من معقول ومنقول ونحو قد نقول **وفيه من الفقه**
نشط المحدث والعالم لما اجل من علمه لمن حوله وبيانه عليهم تلقا نفسه كما فعل صلى الله
عليه وسلم في هذا الحديث لعائشة رضي الله عنها كنت لك كأبي زرع لام زرع قالت ثم
انشأ يحدث الحديث وقد ورد في غير ما حديث صحيح ابتداؤه صلى الله عليه وسلم لاصحابه
المسائل جملا وتفصيلا **وفيه من الفقه** سؤال السامع العالم شرح ما اجمله له فقد
فقد وقع في بعض طرقه عن عائشة رضي الله عنها انها لما قال لها انا لك كابي زرع لام
زرع قالت يا رسول الله وما حديث ابي زرع فذكره رسول الله صلى الله عليه وسلم
الحديث **الغريب** قول عائشة رضي الله عنه كان ابي الف الفا وفيه جمع
قال الله تعالى لو ما الفت بين قلوبهم ورواه الف بالمد فمعناه وهو فعل
مشتق من الالف يقال الفت القوم فالفوا الكلام والمتعدي واحد قاله
الدرى اي جمعتهم الفا وصيرتهم الفا وقولها تعاهدون وتعاقدن
اي الزمن انفسهن بالقول موثقا وعهدا وعقدن على الصدق والوفا
من ضمائرهن عقدا قال الله تعالى لا يؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم ولكن
يؤاخذكم بما عقدتم الايمان اي بما وافق به نطقكم نياتكم والاصل ان
العهد والعقد في اللغة بمعنى واحد قاله الخليل وابن دريد وغيرهما ومعنا
التوثق من عقدت الحبل والشي بالشي وهو التوثق منه وربط بعضه
ببعض وكان هؤلاء النسوة ربطن على الصدق قولهن الظاهر باخلاصهن
الباطن وقولها في الرواية الاخرى تبايعن من هذا المعنى واصله مبايعة
الامراء وهو توثقهم من الناس ومعاهدتهم اياهم على الطاعة واصله
من البيع وذلك ان المتبايعين يمد كل واحد منهما يده الى صاحبه بشيئه
وقيل بل كانوا العرب كل واحد منهم بيد صاحبه عند التبايع ولهذا
سميت صفقة لاصطفاق ايديهم بعضهم ببعض عندها ولما كان الامراء

في بعض ح

يأخذون

يأخذون عند التواثق بأيدي من عاهدوا واشبه ذلك فعل المتبايعين
سميت مبايعة لذلك **غريب قول الاولى** لحم جمل غث اي مهزول قال الشاعر
فاصبحت ورسى قد اغث سمينها والغث ايضا الفاسد من الطعام ومنه الغثيثة
وهي المدة التي تجتمع في الجرح ويقال اغث الطعام يغث واغث والاصل ان
يكون هنا المهزول لقولها بعد لا سمين فينتقى ومن رواه غث فمعناه
هو قليل اللحم صفة للبعير يقال جمل غث وقد غث يغث قال ابن الانباري
يريد لحم جمل مهزول يريد ابن الانباري ان المسنة الغالب عليها الهزال وقولها
على راس جبل وعر اي حزن غليظ والقوز مثل الحبل من الرمل وجمعه اقواز
وقيزان واقاز ومن رواه وعث فمعناه ذو وعث والوعث الدهس
وهو مما يشتد فيه المشي ويشق فاستعمل لكل ما شق ومنه وعثا السفر
اي شدته ومشقته وقولها ليس بلبد فيتوقل اي ليس يستمسك فيسهل
صعوده يقال لبدها الشي يلبد لبودا اذا لزق به ولبد الغيث الارض اي لزق
بعضها ببعض وجعلها لا يسوخ فيها الارجل والتوقل اسرع المشي قاله ابن
الانباري • وقال غيره بين الاسراع في الصعود وقال ابن دريد في الجمهرة توقل
في الجبل توقلا فهو متوقل وكل صاعد في شي متوقل والاسم منه الوقل والوقل
• وقولها لا سهل فيرتقى اي يطلع اليه يعني الجبل لخزونته ووعره و
لا سمين فينتقى يعني اللحم اي ليس بسمين نقي اي مخ فيخرج هذا نحو لفظ
الهروي وفيه تجاوز اذ ليس يستبين منه المعنى وقريب منه قول ابي عبيد
ويعقوب وبيان معنى ما وقع هاهنا انه يقال ليس بسمين له نقي فيطلب
لاجل نقيه فلذلك قال ينتقى اي يطلب طيبه لاجل ما فيه من النقي لان من
اراد استخراج نقيه وهو مخه وذلك ان الجمل اذا هزل فلا بد ان ينتقى فيه نقي
عظامه قال الخليل النقي مخ العظام وشحم العين قال او خر ما يبقى في الجمل
اذا هزل في السلامى ومخ العين فاذا لم يكن فيه ذلك فلم يبق فيه شي من خير
ولا ينتفع به بدليل قوله • لا يشتكين عملا ما انقين ما دام مخ في سلامى او عين
• ومن رواه فينتقل اي ينتقله الناس الى بيوتهم فياكلونه ولكنهم
يزهدون فيه قال ابو سعيد لم يسابه اي ليس من شي اخبث غثاثة من
الانعام من الجمل لانه يجمع خبث الريح وخبث الطعم بريبه فلذلك ضرب به

المثل معناه وصفت هذه المرأة زوجها بالبخل وقلة الخير وبعد
نيل خيره مع قلته كاللحم الهزيل او الفاسد المنتن الذي يزهد فيه
فلا يطلب فكيف اذا كان في راس جبل صعب وعر ووقر زيهل دهش لا
ينال ولا ينال الا بمشقة والى هذا اشار القاسم بن سلام وغيره وذهب الامام
ابو سليمان الى ان تمثيلها بالجبل الوعر هاهنا اشارة الى سوء خلقه والذهاب
بنفسه وترفيعه بانيتها وكبرا تريدا نه مع قلة خيره يتكبر على عشيرته
فيجمع الى البخل سوء الخلق وليس عنده من الخير ما يحتمل سوء عشرته لهم
عربيه اعلم انه يجوز في غث وصفا للحم والكسر وصفا للجمل وروي
بالوجهين لان الوصف بالهزال فيهما معا صحيح ومن رواه لحم غث فالرفع على
ما تقدم والكسر على الاضافة بتقدير لحم جمل واقامة وصفه مقامه
واما من رواه لحم فلا يجوز فيه الا الكسر لانه لا يكون الا وصفا للجمل وقولها
لا سهل فيرتقى يجوز فيه ثلاثة وجوه كلها مروية نصب لام سهل دون
تنوين ورفعهما وخفضهما منونة واعربها عندي هاهنا الرفع في الكلمتين
ووجهه ان تكون خبر المبتدأ محذوف تقديره لا هو سهل او لا هذا سهل ولا
ذاك سمين . او لا الجبل سهل ولا اللحم سمين فيكون كل واحدة من الكلمتين
خبر المبتدأ المحذوف كما قال فاصبحت اليوم لا متعط ولا قار اي لا هو متعط ولا
هو قار ويصح ان تكون سهلا مبتدأ والخبر محذوف معناه لا سهل في هذا
مرتقى ولا سمين من جهة المنتقى ومثله قوله تعالى لا بيع فيه ولا . قرئ
بالوجهين الرفع والنصب ويكون لا ههنا بمعنى ليس كما قال . فانا ابن
قيس لا براح . فاما وجه نصب سهل فعلى اعمال لا وجعلها ناصبة محذوفة
الخبر فتنصب بها والتقدير لا سهل فيه ومنه مثل قولهم لا باس ولا خوف
ومنه قولهم لا حول ولا قوة الا بالله . واما الخفض فعلى وجهين على
النعت للجبل وترك اعمال لا وتقديرها ملغاة زائدة في اللفظ لا في المعنى
وهذا احد وجوهها عند النحاة كقولهم سرت بلا زاد وعجبت من لا شيء فان لا
ملغاة العمل انقطعت للفظ لا في المعنى ومنه قوله تعالى وفاكهة كثيرة لا مقطوعة
ولا ممنوعة وقوله وظل من يحموم لا بارد ولا كريم فمقطوعة وممنوعة نعت
للفاكهة وبارد وكريم نعت للظل ولكن تقديرها في المعنى والغاؤها في العمل

لانك

لانك لو لم تلغها لعملت عملها وحالت بين العامل في النعت والمنعوت فكانها في التقدير
ولو ابطلت ايضا حكمها في المعنى لبطل المعنى وكان ما تعنيها اثباتا من حيث كان نفيا
فهي ملغاة في العمل لانه عنه فاصلة بين العامل والمعمول فيه وكذلك قولها لا سهل
ولا سمين وقد يكون له ايضا وجه اخر وهو ان تقدير لا بمعنى غير فيكون
سهل خفضا بالاضافة اليها فاذا تقرر هنا في قولها لا سهل فكذا ترد
قولها بعد ذلك لا سمين على ذلك كله وتجريه على اعراب ما قبله من الوجوه
الثلاثة عطفا عليه وان شئت نونت سمينا في حال النصب وان شئت
قلت لا سهل ولا سمين ما نفيت الاول على حاله ورفعت الاخر على الوجهين
اللذين ذكرناهما فيما قبل في رفع الحرفين معا وان شئت قلت لا سهل ولا
سمين فرفعت الاولى ونصبت الثاني كقوله تعالى فلا رفث ولا فسوق
ولا جدال في الحج في قراءة ابي عمرو وكقول امية بن ابي الصلت فلا لغو ولا تاثيم
فيها وما فاهوا به مقيم بيان ان قلت ذكرت ان اعراب الوجوه عندك الرفع
في الحرفين واصل لا العاملة نصب النكرة المنفية المفردة التالية لها
وقصاراك ان عطفت النكرات عليها مع تكرارها ان تجوز الرفع تجويز
النصب فاما ترجيحه عليه فبعيد وكيف وقد رأوا الجماعة نقلوا النصب
اجود واكثر من الرفع فاعلم وفقك الله اني اذا بينت لك تعلق و
رفعت منارها رايت ترجيحه واثباته وذلك اني لم ار ذلك من جهة مذهب
النحاة وتقويم الالفاظ ولكن من جهة المعاني وتصحيح الاغراض وترتيب
الكلام ونظامه ورد اعجازه لصدره وتفصيل اقسامه وذلك ان هذه
المراة اودعت اول كلامها تشبيه شيئين من زوجها بشيئين
كما تقدم فشبهته باللحم الغث لبخله وقلة عرفه وبالجبل الوعث لشراسة
خلقه وشموخ انفه فلما اتمت كلامها جعلت تفسر ما ستانفه كل واحدة
من الجملتين وتفصيل باعيته كل قسم من التشبيهين ففصلت الكلام وقسمته
وابانت الوجه الذي به علقت التشبيه فشرحته فقالت لا الجبل سهل
فلا يشق ارتقاؤه لاخذ اللحم الغث المزهود فيه لان الشيء المزهود فيه ربما
اخذ اذا جاء عفوا وتنوول اذا سهل ما حذف ولا اللحم سمين فيتحمل في طلبه
وانتقائه مشقة صعود الجبل ومعاناه وعورته اذ الشيء المرغوب فيه قد

يتحمل المشاق ونده فاذا لم يكن هذا ولا ذاك واجتمع قلة الحرص عليه ومعه
ومشقة الوصول اليه لم يطمح اليه همة طالب ولا امتدت نحوه امنية راغب
فكذلك زوجها قد ايس من خيره لهذين الوجهين فقطع الكلام عند تمام
التشبيه والتمثيل وابتداء بحكم التفسير والتفصيل البديع بنظم الكلام واحسن
من نفي الريبة وسرد الصفة في نمط البيان واحلى في رتبة الاعجاز على صنعة
هذه الاقسام وتامل كتاب الله العزيز فان المتقن تجده ترددت فيه معطوفة
لشيء واحد جاءت بالوجوه الثلاثة كقوله تعالى وفاكهة كثيرة لا مقطوعة
ولا ممنوعة وكاسا لا لغو فيها ولا تاثيم ويوم لا بيع فيه ولا خلة قرئ
بالوجهين الرفع والنصب لا رفث ولا فسوق ولا جدال وحيث ورد المنفيا
فيه لصفات اشيا او لشيئين تخص كل واحد منهما بوصف ونقصه كل شي
منهما بنفي عيب ابتدي الكلام حينئذ مستانفا فقال بيضاء لذة للشاربين
لا فيها غول ولا هم عنها منزفون فقوله لا فيها غول من صفة المشروب
وقوله ولا هم عنها منزفون من صفة الشاربين وهذا من الترتيب البديع
والتناسب العجيب وانه جعل الوصف الاول للموصوف الاول والثاني للثاني وهو
من ابدع انواع التاليف واحسن اساليب الترصيف ومثله قول امرئ القيس
كان قلوب الطير رطبا ويابسا لدى وكرها العناب والحشف البالي. فاتى
بالعناب اولا للقلوب الرطبة المذكورة اولا والحشف ثانيا لليابسة المذكورة
ثانيا وقول بعضهم سئل عنه وانطق به وانظر اليه تجد مل المسامع والافواه
والمقل فانه قابل قوله سل المسامع ولا في الشطر الثاني قوله سل عنه
ولا في الشطر الاول واتى بالافواه ثانيا في الثاني مقابلا للنطق ثانيا في الاول
واتى بالمقل بالثاني الثاني مقابلا للنظر بالثاني الاول ومثله قلبي وطرفي
منك هذا في حمى قيظ وهذا في رياض ربيع فانه حمل حمى القيظ الذي جاء به اولا
في العجز على القلب الذي جاء به اولا في الصدر وحمل رياض الربيع الذي اتى به ثانيا في
العجز على الطرف الذي اتى به في الصدر اخرا فتناسب النظم على نسقه وتطارد
الترتيب على جادة طلقه وكذلك جاء في بعض روايات حديث ام زرع تقديم
لا سمين لعوده على اللحم لمتقدم وتاخير لا سهل لعطفه على الجبل الوعر
وقد تراءى بناء القول هنا الى الحمة والتاعة مما في كلامها من ابواب البلاغة

وهو

12

وهو فصل لها التطويل به ههنا وسنذكر بعد اشاهد مما في كلام صواحبها
ان شاء الله تعالى **فقهه** استدل بعض العلماء من هذا الحديث على ان
ذكر السوء والعيب اذا ذكر باحد فيمن لا يعرف بعينه واسمه انه ليس بغيبة
وانما الغيبة ان تقصد معينا بما يكره فان النبي صلى الله عليه وسلم قد حكى عن
بعض هؤلاء النسوة ما ذكرته من عيب ازواجهن ولا يحكي عن نفسه ان غيره
صلى الله عليه وسلم الا ما يجوز ويباح وقال مثل ذلك ابو سليمان الخطابي ورايت
شيخنا الامام ابا عبد الله محمد ابن علي التميمي لا يرضى هذا القول وقال انما كان
هذا حجة لو سمع النبي صلى الله عليه وسلم امراة تغتاب زوجها ولا تسميه
فاقرها عليه واما هذه الحكاية عن نساء مجهولات غير حاضرات بنكر
عليهن فليس بحجة في جواز ذلك وحالهن كحال من قال في العالم من يسرق
ويزني فلا يكون غيبة قال ولكن المسالة لو نزلت فوصفت امراة زوجها
بما هو غيبة وهو معروف عند السامع فان ذلك ممنوع ولو كان مجهولا لكان
لا حرج فيه على راي بعضهم الذي حكيناه قال وللنظر فيه مجال قال القاضي
ابو الفضل رضي الله عنه فيه للنظر ايضا مجال لغير ذلك وتحقيق المسالة ان فائدة
النهي عن الغيبة حماية عن اذى المؤمن فاذا ذكر المجهول بين عند القائل والسامع
بالقبيح دون ان يذكر لهم اسمه او وصف عساهم لم يعرفوه بعد غيرها ليس بغيبة
لان مثل هذا لا يتصل به اذى للمقول فيه اذ لا يتاذى الا بتعيينه اما عند
القائل او السامع او من يبلغه الخبر وهذا مثل قولك في العالمين من يفسق
وفي بني ادم من يسرق فهذا ليس بغيبة وقد اشار الى نحو هذا الحرث بن اسد
رحمه الله تعالى قال وقال ابراهيم لا يكون غيبة ما لم يسم صاحبها وكان
النبي صلى الله عليه وسلم اذا بلغه عن احد شيء لم يصرح به ولكن يقول ما بال
اقوام يفعلون كذا وهو صلى الله عليه وسلم وان عرفهم فليس بمغتاب لهم
اذ نيته غير الغيبة والاذى بل التحذير والعظة ولو فعل ذلك انسان لمثل
هذا لم يكن مغتابا اذ لم يصرح ولم يعرض باسمه تعريضا يفهم عينه وكذلك
قوله في هذا الحديث اجتمع احدى عشرة امراة فذكر نساء مجهولات الاعيان
والاسماء مجهولات الازواج بايات الزمان فيما حكي عن بعضهم من قبيح
ذكرا زواجهن ليس بعينه نعم وان كان قد سمى في بعض الطرق كما

ذكرناه بعضهن فإن أزواجهن غير مستمعين ومع أن تلك التسمية لقد لم
الزمان لم تزد معرفة وأيضا فإنه أخبر عن قوم من الجاهلية الله أعلم هل
كانوا على ديانة أم لا فلم يكن فيهم ولو عرفوا أن كانوا على الجاهلية غيبة
وأما متى كان القول له معروفا عند القائل أو السامع فهي غيبة وكذلك
لو لم يعرفاه ولكن بلغ أحدا من الناس أن فلانا الكذا أتى دناءة كذا أو تخلق
من القبيح بكذا تحدث به من لا يعرف المسمى واستمع الآخر إليه لكان معتابا بمن
لأن ذلك المسمى لو بلغه ذلك وسمعه لتأذى به إلا أن يكون القائل بحرمة
ولكن لم يفصح به وذكر عيبه لضرورة التحذير أو الوعظ كما تقدم قال القاضي
الفقيه أبو الفضل وفقه الله وقول شيخنا أبي عبد الله وإنما حكي عن نساء
مجهولات غير حاضرات ينكر عليهن غير سديد عندي فإن الحجة إنما هي في حكاية
النبي صلى الله عليه وسلم والحكاية له عنهن فما حكى رجل عن غائبة
إنما قالت في زوجها وسبته بكذا لكان غيبة من الراوي والسامع له وإنما
الحجة في هذا الحديث حكايته صلى الله عليه وسلم عن مجهول الأعيان والمقول له
فيهم مجهولون عند جميع السامعين والحمد لله رب العالمين **تنبيه**
كنت نويت أن أذكر ما في كلام كل واحدة من هؤلاء النسوة من أبواب
الفصاحة وأنبه على ما فيه من فنون البلاغة وأبين ما اشتمل عليه من
أبواب البديع على مذهب أهل هذه الصناعة فإن كلام هؤلاء النسوة
من الكلام العالي الفصيح الجامع للفظ المختار والنظم المناسب المليح
والمعنى الجيد البليغ الصحيح لكني رأيت أن إفراد الكلام عليه
عند شرح قول كل واحدة يطول لما يوجد من التكرار والمداخلة في بعض
الفصول فرأيت أن أؤخر ذلك إلى آخر الحديث أولى ليأتي الكلام عليه دفعة
ويفيض بمجلاه إلى ما اشترطته من الاختصار وكرها لما بسطته
من غير إكثار والعون من الله جل اسمه **غريب قول الثانية**
لا أبث خبره أذكر من رواه وأنت ممن هذا يقال بث الحديث ونثه
بمعنى إلا أن النون أكثر ما تستعمل في الشر وهو بمعنى أنبئ في الرواية
الأخرى أي أعلم قال أبو عبيد العجر تعقد العصب والعروق في الجسد حتى تراها
ناتئة والبجر مثلها إلا أنها مختصة بالبطن قال نحوه الأصمعي وقال ابن الأعرابي العجرة
نفخة

نفخة في الظهر فإذا كانت في السرة فهي بجرة ثم تنقلان إلى الهموم والأحزان
ونحوه عن ثعلب والأصمعي قال ومنه قول علي رضي الله عنه يوم الجمل إلى
الله أشكو عجري وبجري أي همومي وأحزاني وقال أحمد بن عبيد العجر في البطن
والجنب والبجر في السرة وقال الأصمعي إنها تستعمل في المعايب أيضا قال
الهروي عجره وبجره أي عيوبه وقال ابن حبيب وقال ابن السكيت أسراره
وقال نحوه المبرد ومنه فسر قول علي رضي الله عنه قال أبي أسراري
وحكي نحوه عن الأصمعي قال عنه وهو كلام سائر من أمثال العرب لقي فلانا
فأبثه عجره وبجره أي أسراره وقال أبو سعيد النيسابوري أي إنما عنت أن
زوجها كثير العيوب منعقد النفس عن المكارم **معناه** قولها لا أبث خبره
أخاف أن لا أذره أي أترك حديثه والهاء عائدة على الخبر أي أنه لطوله وكثرته
إن بدأته لم أقدر على تمامه وإلى هذا ذهب يعقوب وبعضهم هذا أما ورد
في زيادة بعضهم كلا أبلغ فيه وفيه تأويل آخر ذكره أحمد بن عبيد
بن ناصح أن الهاء عائدة على الزوج وكأنها خشيت فراقه إن ذكرته و
كرهت ذلك وتكون لا هنا على قوله زائدة كما قال تعالى ما منعك أن لا تسجد
وسيئته فيكون أذره على هذا التأويل أفارقه ويحتمل على رجوع
الهاء للزوج ثان وبل آخر أي أن أخبرت بشيء من عيوبه ونقائصه
أفضى إلى ذكر شيء آخر أقبح منه وقد عاهدت صواحبها على أن لا يكتمن
شيئا من صفات أزواجهن فهذه كرهت ما تعاقدن عليه معهن وذهبت
إلى ستر عيوبه لكثرتها ولم تر أن تذكر بعضها دون بعض وأنها
إن ذكرت شيئا تسبب ذكر شيء آخر فرأت الإمساك أولى ويدل على هذا
ما وقع في بعض طرقه أخاف أن لا أذره من سوء ومعنى قولها إن أذكره
أذكر عجره وبجره فعلى مذهب ابن الأعرابي وثعلب والأصمعي يأتي
إن ذكرته ذكرت همومي وأحزاني به وعلى مذهب الأصمعي الآخر والهروي
والنيسابوري إن ذكرته ذكرت معايبه وقبائحه وعلى مذهب ابن السكيت
ذكرت أسراره وبعضها قريب من بعض قال الخطابي أرادت عيوبه
الباطنة وأسراره الكامنة قال الفقيه القاضي رضي الله عنه أعلم أنه كان
مستور الظاهر رديء الباطن فلم ترد هتك ستره وأنها إن تكلمت بما

بما فيه عيا قدرت عليه صواحبها كشفت من قبايحه ما استتر وابدت من
سوء حالها وعظيم همها به ما قل لم تظهر ولكنها وان لوحت وما
صرحت واجملت وما شرحت فقد بينت وان قالت لا ابث اذ لا بد
للمصدور ان ينفث وهذا كما قال ولولا ان يقال صبا نصيب لقلت
بنفسي النشا الصغار   فهو ضمن التصريح انه لم يقل
وفي بعض التصريح انه قد قال ولكن هذه اكتفت بالايما والاجمال في
عنده ولم تهتك حجابا لصدق عزمها ما عرفت منه غريب
قول الثانية قولها زوجي العشنق والعشنق الطويل قاله ابو عبيد
وغيره من الشارحين وخطاه في ذلك عبد الملك بن حبيب وقال
العشنق المقدام على ما يريد الشرس في اموره بل قبيحه وصفتها
له وقال ابو سعيد النيسابوري في كتاب جمع التفسيرين قال العشنق
الطويل النحيف الذي ليس امره الى امراته وامرها اليه فهو يحكم فيه
بما يشا وهي تخافه وقال ابو منصور الثعالبي العشنق والعشنط المذموم
الطول قاله غيره ومثله الشاق وهذا يقرب من قول النيسابوري وقال
ويقال للطويل من الرجال العشنق وحكى ابن الانباري عنه انه الطويل
الجري والعقير قال ابو بكر فكانه جعله من الاضداد والمشهور انه
الطويل تنبيه قال القاضي الذي قراناه في حديث ابن ابي اويس الصفة
كما ذكرناه ولم يذكر فيما رايناه احد من اهل اللغة العشنق في الصفا
ولعله تصحيف من ابي بكر والله اعلم وقولها اعلق اي يتركني معلقة
كمن لا زوج لها ولا هي ايم قال الله تعالى فتذروها كالمعلقة والسنا
الرمح والمذلق المحدد اي انها معه على مثل سنان محدد وذلق كل شي
حده ومنه قولهم لسان ذلق اي حديد فصيح اردت انها لا تجد معه
قرارا وانها معه على حذر كمن هو على طرف السنان وانه هو لهو جيه
لا يستقر على حاله معناه وصفها له بالطول على راي ابي عبيد
تريد مدحته بذلك لان العرب تمدح الرجال والسادة بطول القامة
وفخامة الظاهر ومنه قول الاخر طويل النجاد وقال الشاعر تبجان
به سبطا العظام كانما عمامته بين الرجال لواء وقال اخر

خدب

خدب يضيق السرج عنه كانما يمد بكابيه من الطول مائح وقال
غيره بطل كان ثيابه في سرحة يحذى نعال السبت ليس بتوءم
يقول كان ثيابه من طوله على سرحة اي شجرة عظيمة طويلة لكمال خلقته
وانه ولد وحده غير توام له ولد آخر زحمه في الرحم فاضعفه ونقص
خلقته ومنه قول الشعبي لولا اني زوحمت في الرحم ما قامت لاحد معي
قائمة واقتصارها من صفاتها على الطول وحده قال الاصمعي اردت
بذلك اي ليس عنده اكثر من طوله بلا نفع فان ذكرت ما فيه من المعايب
طلقني وان سكت تركني معلقة لا ايما ولا ذات بعل يعني ينتفع بها انتفاع
البعول له ولست مطلقة فاستريح منه واتفرغ لغيره واياس منه ولا
احسن صحبتي فاغتبط به فانا كالشي المعلق بين العلو والسفل غير المستقر
في احدهما وقيل يحتمل قولها ان يكون من علاقة الحب ولذلك كانت تكره
ان تنطق لئلا يفارقها وان سكتت بقيت بعلاقتها ولم يشتغل بها ولا وصلها
فتشقى بطول صدها قال ابو بكر بن الانباري اردت ان زوجي له منظر
بلا مخبر وعلى من هذا الامر فتقتضي جميع ما وصفته به سوء الخلق والعسر
والعشرة وانها لا تامن اذاه وضره وانها مع هذا منه مذمومة الراي والخلقة
وانها على حذر من صحبته غير مطمئنة النفس ولا مستقرة الجاش معه
متوقعة اذاه وفراقه فهي معه كمن هو على حد السنان من المخافة والحذر
وعدم الطمانينة والاستقرار والعرب تقول لمن يكون على حذر وغير
استقرار كانه على مثل سن الرمح ومثل حد السيف ومثل قرن الظبي
قال امرو القيس كاني واصحابي على قرن اعفرا وقد ابان هذه
العلة ابو العلا بن سليمان بقوله كانني فوق قرن الظبي من حذر
غريب قول الرابعة زوجي كليل تهامه القر البرد والسامه
الملال والوخامة الثقل يقال رجل وخيم اي ثقيل وطعام وخيم
ثقيل غير مستمرا ومرعى وخيم لا ينجع على الماشية غريبه
بحرية قولها لا حر ولا قر ولا مخافة ولا سامة ما تقدم الوخوم في قول
الاخرى لا سهل ولا سمين ولكن كلام هذه احلى لبعض الوجوه من
الكسر على الصفة لتكرة الاوصاف ولكونها كلها اوصاف الشي واحد وسيبويه

يستقيم حذا اذا لم تتكرر الاوصاف ومن العطف على الموضع اذا نصبت
اولا ورفعت اخرا لكونها جملة واحدة واشتراكهما في الخبر كما قال
تعالى لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة وكما قال لا ام لي ان كان ذاك ولا اب
معناه وصفته بحسن صحبتها وجميل عشرتها واعتدال حاله وسلامة
باطنه ونفعها به وضرب المثل بليل تهامة من بلاد الحجاز مكة
وما ولاها بلاد حارة راكدة الريح وبه اسميت تهامة قال الاصمعي العرب
تقول اذا انحدرت من ثنايا ذات عرق فقد اتهمت الى البحر واذا تصوبت
ثنايا العرج فقد استقبلت الاراك والمرخ وشجر تهامة وانشد عنبر
نجد برد نجد بعد ما لعبت بنا تهامة في حمامها المتوقد وقال الحسن المدائني
تهامة ما انسفل من جزيرة العرب بين بحرها الغربي والسراة وكانت
فيه طمانينة وحرارة قال القاضي فليلها لا قر فيه اي ليس فيه رياح
باردة شديدة ولا حر لان برد الليل على كل حال يطفيه ويكسر سورته
فهو معتدل وبلاد الحجاز بالجملة موصوفة بطيب الليل والاصايل والظلال
وقد اكثر في ذلك شعراؤهم ومنه قال بعضهم الم تعلما ان المصلى مكانه
وان العقيق ذا الظلال وذا البرد وان بها لو تعلمان اصايلا وليلا رقيقا
مثل حاشية البرد فيقول لا اذى عنده ولا مكروه وكمثل هذه الليلة ليس فيها
حر ولا برد ولا ريح لان في الريح والحر والبرد اذا اشتد ويقول لا عنده
غائلة ولا شرا اخافه ولا يسأمني فيمل صحبتي ويكون هذا معنى قولها
ولا سآمة او يرجع قولها ولا وخامة الى صفة ليل تهامة لان بلاد تهامة
واشراف بلاد الحجاز صحيحة الهواء غير وخمة ولا وبيئة وقد يكون قولها
ولا وخامة اي انه تعني زوجها ليس فيه ثقل ولا وخامة بل هو حلو الشمائل
خفيف على المصاحب مستلان الجانب وقولها في الرواية الاخرى ولا مخافة
خلفه ولا امامه قال ابن الانباري تريد ان بلد تهامة لا يخاف اهله من
امامهم ولا من خلفهم لتحصن اهله بالجبال ويحتمل عندي ان تريد خلفه وامامه
على زوجها اي انه مامون لا يخشى مضرته من جهة من جهاته كما قالت
ولا مخافة ويحتمل انه حام لذمار مانع لحوزة داره وجاره وصفته
بالكرم والسخاء فقولها والغيث غيث غمامة اي انه جواد يتهلل ويحيي به

الانام

الانام كغيث الغمام **غريب قول الخامسة** زوجي ان دخل فهد قال
ابن عبيد تصفه بكثرة النوم والغفلة على وجه المدح له وقولها ان خرج
اسد تمدحه بالشجاعة اي صار كالاسد يقال اسد الرجل واستاسد اذا صار
كذلك وقولها عما عهد اي راى في البيت وعرف قال ابو عبيد لا يتفقد
ما ذهب من ماله ولا يلتفت الى معايب البيت وما فيه ساه عن ذلك وقوله
هذه انفتوى تفسيرين لعهد احدهما عهد قبل فهو يرجع الى تفقد المال و
الثاني عهد الان فهو بمعنى الاغضاء عن الغائب والاحتمال وقال ابن ابي اويس تقول
ان دخل وثب علي وثوب الفهد وان خرج كان كالاسد جراة واقداما فقوله وثب
علي يحتمل ان يريد به البطش لها والضرب لها او يريد بها المبادرة الى جماعها
وكثرة الحظ من استمتاعها او سوءتها ولذلك من ملاعبتها وتقديم الايناس
قبل الابتسام لمواقعتها قال ابن حبيب وصفته بانه في اللين والدعة
والغفلة عندها كالفهد واذا خرج كان كالاسد في شجاعته ولم ترد النوم
كما قال شارح العراقين فقال لو ورد للنبي صلى الله عليه وسلم مثل هذا في
وصف علي وعمر وذم من كان بخلافه . وروي عنه صلى الله عليه وسلم قال
ان الله يبغض الذواق المطلاق الذي اراه لا ياكل ما وجد ويسال عما فقد
وهو عند اهله كالاسد وكان خارجا كالثعلب لكن على الفاطمة ياكل ما وجد و
لا يسال عما فقد وهو عندها كالثعلب وخارجا كالاسد قال الفقيه القاضي
ايده الله والاولى ان يكون ذكر هذا على معنى الاستعارة جعلت كثرة
تغافله كالنوم والله اعلم لاسيما وقد وصفه الفهد بالحياء وقلة الشر
وهذه كلها خلق مدح وهي راجعة الى ما اشار اليه ابو عبيد ومما يبينه قوله
ولا يسال عما عهد وكثيرا ما وصفت العرب الكرماء والسادة بالتغافل والحياء
في بيوتها ولبيتها قالت ليلى الاخيلية فتى كان وسط البيوت من الحياء سقيما
وقال الاخر ٭ نزر الكلام من الحياء تخاله صمتا ٭ وليس بجسمه سقم ٭ وقال
الاخر كريم يغض الطرف دون خبائه ٭ ويدنو اطراف الرماح دوان واما
كثرة النوم فمن مذموم وقلته محمودة دالة على اليقظة والذكاء قال الهذلي
فاتت به حوش الفؤاد مبطنا سهدا اذا ما نام ليل الهوجل ٭ وقال الاخر
اسد ابا المجال سهد ٭ وقال عتبة الملك بن مروان لمعلم بنيه علمهم العوم وخذهم

وافضلهم

بقلة النوم قال الفقيه القاضي رضي الله عنه وقد يظهر لي فيه وجه اخر مع
صحة ما ذكروه وبيانه ان ذلك نحو سوا قولها فهد على الاشتقاق من خلق الفهد
والمثل المضروب به في النوم وفي الفهد ايضا مثل اخر ذكره اصحاب الامثال
كما ذكروا الاول وهو قولهم اكسب من فهد قال ابو عبد الله حمزة الاصبهاني في
شرح الامثال وذلك ان الفهود الهرمة التي تعجز عن الصيد تجتمع على فهد
فتي فيصيد عليها كل يوم شبعها قلت فلا يمتنع ان يكون قولها
اذا دخل فهد اي اذا جاء المنزل جاء بالكسب والخير والفوائد كما تفعل الفهد
في كسبه ولا فرق بين هذا التاويل وبين الاول اذ كل واحد مما اشتق من
خلق الفهد وكانت العرب تتمادح بالكسب والاستفادة وفي حديث ابي بكر
انك تكسب المعدوم ومثله في وصف ورقة للنبي صلى الله عليه وسلم وهذا
احد التاويلين في هذين الحديثين وقال المساور بن هند من اناشيد ابي تمام
تجد فيها متلف المال كاسبه فلا يبعد هذا التاويل عندي وان كان الاول
اظهر واليق بالكلام لمطابقته لفظه ومعناه قولها اذا خرج اسد كما سنبينه
عند الكلام على ما فيه من البلاغة وابواب الفصاحة ان شاء الله كما ان
ايضا قولها ولا يسال عما عهد من معنى اذا دخل فهد ادل على التاويل
الاول وفيه مطابقة ومماثلة للتاويل الثاني فحمل كل فقرة على معنى مفردة
اولى بالكلام الفصيح واسعد **عربية** قولها فهد فعل مشتق من
الفهد باتصافه بوصفه كما ذكرنا مثل قولها اسد فعل مشتق من الاسد
ايضا كذلك وكثيرا ما اتت التخلق والتغير المشتقة من ذلك على فعل وفعل
وقد يحتمل ان يقال ان فهد ههنا اسم ويكون خبر المبتدا مضمرا اي هو فهد
كما قال صلى الله عليه وسلم الحمو الموت وكما يقول زيد الاسد اي مثل الاسد
ويكون كسر الهاء ههنا كما قالوا فحذ وفخذ او لمناسبة قولها اسد في السجع
الاخر وهو باب من الاتباع تستعمله لتحسين الكلام ومناسبة الالفاظ ومنه
قوله صلى الله عليه وسلم ارجعن مازورات غير ماجورات وحقه موزورات
من الوزر ولكن حمله على لفظ ماجورات لتحسين الكلام وللعرب في هذا
الباب مذهب معلوم ويعضد هذا التاويل انه قد روا فهد واسد
وقد يحتمل ان يكون هاتان اللفظتان اسما الفاعل من فهد واسد وكثيرا ما

جاء

جاء اسم الفاعل من فعل على هذا الباب كحرج وحذر ووجل وعم وشبق وبرق
وفرق في مثل كثيرة لكن حمل ذلك على فعلين ونحن قائلين افصح وتقابلهما
اسهل للكلام واسمح **معناه** وصفته بانه كريم الطبع نزه الهمة حسن
العشرة لين الجانب في بيته ليس يتفقد ما ذهب من ماله ولا يلتفت
الى ما جاء في بيت ولا يطالب ما فقده منه وعهده فيه من طعام او ما كول ونحوه
ولا يسال عنه لسخاء نفسه وسعة قلبه فكانه ساه او نائم او غافل عن
ذلك فشبهته بالفهد لذلك وهذه الخصلة من مكارم الاخلاق وقد
قيل العاقل الفطن المتغافل وبينت ذلك بقولها يأكل ما وجد فعرفت انه
نزه الهمة قنوع النفس ليس بنهم ولا لجوج ثم اكدت ذلك كله بسخا وجبا فيه
بقولها ولا يرفع اليوم لغد اي انه لا يعد الزاد ويدخر بل يغنيه من يومه
ويجود به لجوده وبوسع عيشه من معه في جميعه وقد كانت هذه خلق
نبينا صلى الله عليه وسلم واشرف العرب وقد نهى صلى الله عليه وسلم
عن خلافها فروي عنه بسنده انه كان صلى الله عليه وسلم لا يدخر شيئا لغد
ثناه القاضي ابو علي الحسين بن محمد قال انا الامام ابو القاسم البلخي يعرف
بابن بنشاقور قال انا القاضي ابو علي الوخشي وغيره قالوا انا ابو القاسم
الخزاعي نا الهيثم بن كليب الشاشي نا ابو عيسى الترمذي نا قتيبة
بن سعيد نا جعفر بن سليمان عن ثابت عن انس وروي عنه ان خادما له
خبا له شيئا من بقية طعامه فاتاه به من الغد فقال له الم انهك عن هذا
ان الله ياتي برزق غد • وقد تقدم حديثه في ذكر علي وقد قال النابغة
في هذا المعنى ولست بخابي ابدا طعامي • حذار غد لكل غد طعام
تنبيه ان قيل كيف يصح ما تاولته من هذه الاحاديث ان
خلق نبينا صلى الله عليه وسلم موافقة لقولها ولا يسال عما عهد على
التفسير الذي ذكرته وفي الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم وقد
اتي بادم من ادم البيت فقال الم ار برمة فيها لحم فقيل لحم تصدق
به على بريرة فقال هو عليها صدقة ولنا هدية فالجواب
ان ما تاولته ظاهر بين من الاحاديث المذكورة ونص بالعظة في حديثه
حديث علي كما قدمناه واما قصة بريرة فليس من هذا فان السؤال

عمّا عهد وقيل والاستقصا عنه والمناقشة في حديث ذهب هو لما تموّه
واما استدعاه النبي الحاضر العتيد كلحم بريرة فليس من هذا فكيف وقد
يمكن سؤاله عن لحم بريرة ليبين لهم هذه السنّة التي هي احد نسس
الحديث وفهم عنهم صلى الله عليه وسلم اذا قدموا اليه ادم البيت و
تركوا سيد ادام اللحم وهو حاضر انهم حملوا اخباره بتحريم الصدقة عليهم
عاما في مثل هذا او ذال ان هذا قصد احتجاجهم عليه بانه صدقة فبين
لهم صلى الله عليه وسلم سننه لذلك وقد يحتمل ان يكون قولها
ولا يرفع اليوم لعله كناية عن الحزامة والاخذ بالجد في امره وترك
التواني فيما يهمه به ووصفته على التاويل الاخر بالاحسان والاستفادة
والوفر والتوسعة على اهل منزله ثم وصفته ايضا بالشجاعة اذا خرج
للناس وباشر الحروب فكانه الاسد الذي يخافه كل سبع وبقولها اذا خرج
اسد ثم مدحته بقولها اذا دخل فهد على التاويل المشهور اذ قد كان
يظن ان ذلك من تغافله واغضائه وتناومه غريزة ضعف وطبيعة
مهانة وفسوله ولكن لما ابانت انه خارجا بخلاف هذه الصفة بان
ذلك منه سجية كرم وشمايل نزاهة همة وحسن عشرة واما رواية من
رواه واذا خرج فهد وهو بخلاف سائر الروايات المشهورة الصحيحة
لذلك وانقلاب المعنى الذي فسره من تقدم الا انه قد يظهر لي فيه
وجه وهو ان يكون معنى اذا خرج فهد تصفه في البذي بالرزانة والسمت
والحيا والحلم والاغضا شبهها بالفهد وذلك انه حيوان ثقيل كثير
النوم على سريع الوثب موصوف بالحيا وقلة الشره او انها وصفته
اذا خرج بالكسل والنجعه كما قدمناه في صفات الفهد ويكون تأويل
واذا دخل اسد ان يكون وصفته بالكرم في بيته وبين اقاربه والتفضل
والمواساة فالاسد يوصف بذلك وقالوا في المثل اكرم من اسد وذكر اصحاب
الحيوان ان الاسد اذا افترس لم يعض فريسته وترك لمن يجتمع حوله من
الوحوش ولم يباشرهم عليها ولا دافعهم عنها وانه قلما تعرض لصبي
ولا امراة ولا نائم كرم طباع ونزاهة نفس فيقول على هذه الرواية انه
داخلا كالاسد كرم اخلاق ونزاهة نفس وانه خارجا كالفهد تغافلا

واعضا

واعضا وسمنا وحيا او نجمعا للمال وكسبا وهذه مادحة زوجها على راي
الجماعة وهو ظاهر مذهب عروة بن الزبير في سرد الدامان بجملته وقد
حمل ابن الانباري بعض هذه تفسير ابن ابي اويس على الذم وبعضه
على المدح وهو محتمل ان يكون مدحا او ذما كلها او منقسما بينهما
فان تفسيره فهد بنوثبه وثوب الفهد عليها محتمل كما ذكرناه وتفسير
اسد بالجراة على الناس والاقدام محتمل للمدح والشان ارادت به الدفاع
وحضر الهيجا ومقتضى للذم ان كان ارادت به الظلم وان كان من العرب
من يمدح ايضا بهذا الوصف اذ هو دليل على الجانب وعدم الخوف
غريب قول السادسة قولها اذا اكل لف اللف في الاكل الاكثار منه
والتخليط من صنوفه واستقصاوه حتى لا يبقي منه شيا ومن روى رف
فمعناه الاكثار من الاكل حكاه الهروي يقال منه رف يرف ومن روى قتف
فمعناه قريب من هذا قال صاحب العين القفان الجماعة وقفان كل شي جماعه
واستقصاوه قال الفقيه القاضي ادام الله عزته ومن هذا سميت القفه
لجمعها ما جعل فيها وضمه قال صاحب الجمهرة القفه وعاء تجعل فيه المراة
غزلها وشبهه ومنه والله اعلم سمي القفاف الذي يسرق بكفه لانه يجمع
ويضم قال الشاعر فقف بكفه سبعين منها والاشتفاف في الشرب استقصاما
في الاناء فاذا شربها صاحبها قيل اشتفها ومن اشتف بالسين المهملة
فمعناه قريب من الاول في استقصاء والاكثار وقولها واذا اضطجع
التف تعني رقد ناحية ولم يباشرها ويروي رقد وهجع وهما بمعنى
واحد وقولها ولا يولج الكف اي لا يدخل يده ليعلم البث اصل البث الحزن
اي فيعلم ما اهتم به ويحزنني امره ويستبين معناه قال ثابت والبث
ايضا الامر الذي لا يصبر عليه والبث الشكوى قال الله تعالى انما اشكو بثي
وحزني الى الله وفيه لغتان بثثت وابثثت ومنه قول بعض العربيات
لقد ابثثتك مكتومي واطعمتك مادومي اي اخبرتك بسري ومن رواه الليث
فمعناه ان لم يكن وهما الاقامة والصبر عليه وقولها واذا ذبح اغتث فمعناه
عندي اذا ذبح للضيفان اختار الهزيل من غنمه وقد فسرناه ان الغث الهزيل
معناه هذه امراة ذمت زوجها فوصفته اولا باللوم والبخل والبرم

والتهامة والجرة وسوء العشرة والمرافقة وانه لا يبقي فيما يأكل ويشرب
ولا يبقيه ويجمع كل ما يجد من ذلك فيحطمه وليس هذا من مكارم الاخلاق
والعرب تذم بالبرم وكثرة الاكل والشرب وتمتدح بقلتهما قال الشاعر •
تكفيه حزة فلذ ان الم بها من الشواء ويروي شربه الغمر • وقال لابادي
لما في القدر يرقبه ولا تراه امام القوم يقتفر • وقال الاخر • يبهجون بطنه
الستم اقل الناس عند لوائهم • واكثرهم عند الذبيحة والقدر • وفي
صفة نبينا صلى الله عليه وسلم انه كان يجتزي بالعلقة قال الشاعر واجتزي
من كفاف القوت بالعلق • العلقة البلغة • وقد قيل لكل كريم فضله •
وللارض من كاس الكرام نصيب • ويروى عن جرير بن عبد الله انه قال
لبنيه يا بني اذا شربتم فاسئروا اي اتركوا في الاناء سؤرا وهو بقية
الشراب وفي حديث اخر فانه اجمل ويروى عن النبي صلى الله عليه وسلم لا خير
في طعام ولا شراب ليس سؤر وفي المثل ليس لري عن التشاف ثم اكدت
وصفه باللوم فانه نزل به الاضياف واضطر الى الذبح لهم عدل عن
خيار ماله وسمينه الى هزيله ورديه وما لا خير فيه وهو قولها
اذا ذبح اغتث وهذه نهاية في اللوم وكانت عادة اجواد العرب ضد هذا
من اختيار جيد المال للاضياف كما قال بعضهم فاعضضته الطولى سناما
وخيرها بلا وخير الخير ما يتخير وقال الاخر ايضا يشفي به كلم باع مودة
عرفا يشق عليها تامك سنم • وقال الاخر اذا القوم اموا بيته فهو عامد
لاحسن ما ظنوا به فهو فاعله • وقال الاخر يصف ناقة عقرها للضيفان •
فصادف السيف منها ساق متلية • جلس فصاد فمنه ساقها عطبا •
زيافة بنت زياف مذكرة • لما نعوها لراعي سرحنا انتحبا • ثم وصفته بعد
بقلة الاشتغال بها والتعطيل لها وانه اذا نام التف في ثيابه ولم يضاجعها
ولا اداناها من نفسه وانه لا همة له في الباه صفة التي هي ممادح الرجال
فان العرب كانت تتمادح بالقوة على الجماع لانها دليل صحة الذكورية
وبذم بضده كما قالت الاخرى • عياياء • واختلف المتأولون في معنى قولها
ولا يولج الكف ليعلم البث فذهب ابو عبيد الى انه كان بجسدها داء
او اداء بكرتها وتحزنها فكان لا يدخل يده في ثوبها ليلمس ذلك العيب

فيشق

فيشق عليها فان هذه خصلة مدحته بها ورد العتبي والخطابي منهم وجها
وابن حبيب وابن الاعرابي وغيرهم عليه هذا القول وقالوا انما شكت
هذه الخصلة من زوجها وذمته بذلك واستقصرت حظها منه وانه لا
يضاجعها ولا يدنيها وينام ناحية منها كما قالت واذا رقد التف ولا
يدنيها من نفسه ويدخل يده اليها ويباشرها ويلمسها فيكون منه اليها
ما يكون من الرجال لازواجهم فيعلم بثها بذلك ومحبتها له وحزنها
لعدم ذلك منه لها وقلة تفقده لحاجته منها قالوا وليس وجه الحديث
ما ذهب اليه ابو عبيد من انها مدحته بالغفلة عن داء كان بجسدها
لانها قد ذمته في صدر كلامها • قال الانباري ولا حجة على ابي عبيد في هذا
لان النسوة كن تعاقدن على ان لا يكتمن شيئا من اخبار ازواجهن
فمنهن من وصفت زوجها بالخير في جميع الامور ومنهن بضد ذلك
ومنهن من وصفت ما فيه من الخير وما فيه من الشر قال الفقيه القاضي رحمه
الله يريد ما ذهب اليه العتبي واصحابه من معنى الذم مما اشار اليه
عروة بن الزبير في بعض طرق هذا الحديث فانه قال في خمس مدحن
على التوالي في حديث بدأه منهن فقال هن لا خمسة يشكون نا ابو
بكر محمد ابن عبد الله الفقيه من لفظه قال حدثنا ابو الحسن بن ايوب
نا ابو علي بن شاذان نا ابو عمرو بن السماك نا حنبل بن اسحق نا موسى
بن اسمعيل ابو سلمة المنقري نا سعيد بن سلمة عن هشام بن عروة عن
اخيه عن ابيه عروة وايضا فان ما ذهبوا اليه هو الاظهر والمستعمل
في الكلام والمستحسن في الكناية ومثله في حديث عبد الله بن عمرو وان اباه
زوجه امراة قرشية فتشاغل عنها بالعبادة فدخل عليها عمرو بن العاصي
فسالها كيف تجدينه قالت كخير الرجال من رجل لم يفتش لنا كنفا
فهذه الكناية بمعنى تلك ومثله في حديث عائشة ووصفت رجلا
بالعفة فقالت ما كشف من كنف انثى قط اي انه لم يكن يشتغل بالنساء
ولا له فيهن مذهب فعبرت عن ذلك بكشف الكنف وهو الثوب
الذي يكنفها اي يسترها ومنه قولهم في كنف الله وحفظه اي ستره
نا بحديث عبد الله بن عمرو ابو الحسين سراج بن عبد الملك الحافظ

رضوان الله عليه قال حدثني ابي ومحمد بن محسن الفقيه قالا نا القاضي يونس
بن عبد الله قال نا ابو الفضل الصقلي نا ابن ثابت قاسم بن عن ابيه ثابت بن
قاسم بن ثابت وجده ثابت قالا اخبرنا موسى بن هرون نا موسى ابن
الصباح انا هشيم عن حصين ومغيرة عن مجاهد عن عبد الله بن عمرو
نا القصة ومثل قول هذه المراة قول اخرى لزوجها تعيره ان شريبك
لاشتفاف وان ضجعتك لانجعاف وان شملتك لالتفاف وانشد القضي
القيسي لاوس بن حجر هذا وهبت الشمال البليل واذ بات كمع الفتاه
ملتفعا اي ملتفا ناحية قال القاضي ايده الله وقد يحتمل عندي قول
هذه المراة ان شملتك لالتفاف وقول صاحبة ام زرع واذا رقد التف
معنى غير هذا وهو ان يريد اضعف ازواجهما وعجزهما وقلة نفعهما
وحمايتهما لانه لا ينام هذه النومة الا العاجز القليل الغناء ولهذا
ذموا النوم ومدحوا ضده كما تقدم ولهذا سموا الرجل الضعيف
العاجز القليل الغناء زميلا وزمالا قال بعضهم اصله من التزمل
اي انه اذا نام تزمل في ثوبه وتلفع في دثاره ولم يهتم بحراسة
شانه ولا حماية ذماره ولهذا قالت له هذه المراة في اخر كلامها وذمها
وانك لتنام ليلة تخاف وقالت التاسعة من صواحب ام زرع
تمدح بضده لا ينام ليلة يخاف وقال الشاعر فلا تصلى بكل فتى
نؤوم اذا امسى يعد من العيال وقيل ان معنى قولها لا يولج الكف ليعلم
لا يتفقد اموري وما يهمني من مصالحي وهو كقولهم ما ادخل يده في الامر
اي لم يشتغل به ولم يتفقده فضربت المثل بذلك كما قاله احمد بن ناصح
ونحوه عن ابن ابي اويس **تفسير قول السابعة** حق له عياياء
وفي الرواية الاخرى او غياياء وهو شك من العذري قال ابو عبيد هكذا يروى
بالشك **تنبيه** قال القاضي ايده الله لاكثر رواية بغير شك
وانما رواه بالشك اصحاب عيسى بن يونس عنه وعنه ابن خلد السكوني
وبين هشام بن عمار في حديثه هذا عن عيسى ان الشاك فيه عيسى وسائر
الرواة يقولونه بالعين مهملة دون شك **عربية** قال ابو عبيد
الصحيح عياياء بالعين فاما المعجمة فليس بشيء والعياياء من الابل التي

لا تضرب الى النوق وكذلك في الرجال كناية عن ذلك قال الهروي العياياء
العي الذي تعييه مباضعة النساء واراه مبالغة من العي في ذلك
قال الشاعر: مغتلم الوجه عياياء سائس وقال ابن ابي اويس عياياء
طباقاء عيي مطبق عيا لا يتصرف ولا يتوجه لوجه قال ابن السكيت
العياياء العيي الذي لا يهتدي لوجهه **تنبيه** قال القاضي
رضي الله عنه وقول ابي عبيد ان الغياياء بالغين المعجمة ليس بشيء
ولم يفسره وتابعه على ذلك سائر الشارحين وقد ظهر لي فيه معنى
صحيح في اللغة بين في التاويل وهو ان يكون ماخوذا من الغياية وهي كل
ما اظل الانسان فوق راسه من سحاب وغيره ونحو ذلك ومنه سميت الراية
غاية فكانه غطي عليه من جهله وستر عنه مصالحه وهو كقولهم طباقاء
قال ابن الاعرابي الطباقاء هو المطبق عليه حمقا قال ابن دريد هو الذي
ينطبق عليه اموره فلا يهتدي لوجهها قال الاصمعي هو الذي اموره
مطبقة عليه ونحوه عن يعقوب وقال ابو عبيد هو العيي الاحمق الفدم
وكل هذا قريب بعضه من بعض فلا فرق اذا بين قولها غياياء بالغين
وطباقاء فلا يصح اذا قول من قال ان الغين ليس بشيء وقد يمكن
ان يكون ايضا ماخوذا من الغي وهو الانهماك في الشر ومن الغي وهي
الخيبة قال الله تعالى فسوف يلقون غيا قيل خيبة وقيل غير هذا كانه
خاب من كل فضيلة وقال ابن ولاد فلان طباقاء اذا لم يكن صاحب غزو
ولا سفر وقال الخليل الطباقاء الاحمق والطباقاء البعير الذي لا يضرب
وقال ابو عيسى عبيد عن الاصمعي العياياء الطباقاء من الرجال والابل
وحكى ابو علي عن بعضهم الطباقاء من الرجال الثقيل الصدر الذي يطبق
صدره على صدر المراة عند المباضعة وهو مما تذمه الرجال عند النساء
ويروى ان ام جندب قالت لامرئ القيس وكان مفركا للنساء انك لثقيل
الصدر خفيف العجز سريع الاراقة بطيء الافاقة **تنبيه** ان قيل
يرد هذا التفسير ما تقدم من تفسير عياياء انه العي عن المباضعة فكيف
يوصف مرة بالعي عنها ومرة بثقل الصدر فيها قيل هذا لا يلزم اذ قد
يكون عياياء في حين طباقاء في حين وقد يمكن ان يكون اطباقه صدره

من سبيل لعي او العجز لمعالجة ما لا يقدر عليه ومعاناة ما قد اعياه وقولها
كل داء له داء اي كل ما تفرق في الناس من الادواء والمعايب جتمع فيه
وقولها شجك او فلك او جمع كلا لك اي جرحك فان الشج في الراس
والفل في سائر الجسد قال ابن دريد بعج القرحة اذا شقها وكل شق
بعج وقال الاخر بج المراد منكر ابو قتيبة وقال الزهري البج الطعن
قال ابن الانباري يقال فلك كسرك ويقال ذهب بمالك ونحوه عن ابن ابي
اويس ويقال كسرك بخصومته وعدله غريبه فقوله
جما قاطعا فمن ابنية المبالغة وكذلك قولها عياياء وغياياء وهو من الكلمات
التي على وزن فعالاء من الابنية التي الحقت فيها الالف ومثالها في
الاسماء ثلاثاء وعجاساء وبركاء معناه وصفته بالحمق والتناهي
في جميع النقائص والعيوب وسوء العشرة مع الاهل وعجزه عن حاجتها
مع ضربها واذاه اياها وانه اذا حدثته سبها وان مازحته شجها
واذا اغضبته ما شجها في راسها او كسر عضوا من اعضائها وهو معنى فلك
ومنه قيل للمنهزم منفل اي شق جلدها وطعنها وبقي معنى جمع
او جمع ذلك كله لها من الضرب والجرح وكسر الاعضاء والكسر بالخصومة
وموجع الكلام واخذ مالها غريب قول الثامنة قولها زوجي
المس مس ارنب والريح ريح زرنب الزرنب ضرب من الطيب معروف وعند
العرب قال الشاعر يا بابي انت وفوك الاشنب . كانما ذر عليه الزرنب
او زنجبيل فهو عندي اطيب واختلف اصحاب النبات من القدماء
والمتاخرين في صفته فقال بعضهم هي شجرة عظيمة بجبل لبنان بالشام
لا ثمر لها ورق طويل بين الخضرة والصفرة يشبه ورق الخلاف ورايحته
كرايحة الاترج ويستعمل ورقه وقضبانه وقال اكثرهم انها حشيشة
دقيقة طيبة الرايحة قال بعضهم يشبه ورق الطرفا صفراء كرايحة
الاترج من الافاويه الطيبة ولهذا استعملها العطارون ويخلط
بالطيب لعطريتها ويسمى رجل الجراد لشبهها بها وليست من نبات ارض
العرب وان كانوا ذكروها معناه تصف زوجها بلين الجانب للاهل
وحسن الخلق والعشرة فهو كمس الارنب للينه ومحبته لها ولدونة وبرها

اما تشبيهها اياه بريح الزرنب ففيه تأويلات احدها انها ارادت طيب
جسده وعطر ثيابه والثاني انها ارادت لين عريكته وحسن خلقه
فيكون بمعنى الفصل الاول ثم وصفته بالشجاعة والجرأة واكدت
ما تقدم من وصفه بلين الجانب مع الاهل بغلبها له واعلبه للناس
تغلب وهذا مثل ما وقع في الحديث ان الاعشى الحرمازي لما اتى
انشد النبي صلى الله عليه وسلم ارجوزة يشكو فيها امراته قال
في اخرها وهن شر غالب لمن غلب فجعل النبي صلى الله عليه وسلم
يتمثل بذلك ويقول وهن شر غالب لمن غلب ومنه قول معاوية
يغلبن الكرام ويغلبهن اللئام غريب قول التاسعة
رفيع العماد اصله عماد البيت وهي العمد التي يعمد بها البيوت
وجمعه عمد وعمد واعمدة وقولها طويل النجاد النجاد حمائل السيف
والنادي مجتمع رجال الحي ومجلس مشورتهم وحديثهم ويقال ندي
ومنتدى قال الله تعالى وتاتون في ناديكم المنكر وقال احسن نديا معناه
قولها رفيع العماد وصفته بالشرف في نسبه والسودد في قومه واستعارت
لرفعة بيت حسبه المعنوية رفعة العماد من بيت المسكن المبني
كما قال . فاما بيتكم ان عد بيت فطال السمك واتسع الفناء
واما اسه فعلى قديم من العادي ان ذكر البناء وقد قيل في قول
السموال ابن عاديا . لنا جبل يحتله من نجيره . منيف يرد الطرف
وهو كليل رسا اصله تحت الثرى وسما به الى النجم فرع لا ينال طويل
انما عني به شرفهم وحسبهم وقيل اراد حصنه الابلق الفرد وقد قيل
ان معنى قولها رفيع العماد على ظاهره وانما ارادت عماد البيت نفسه
اذ هي بيوت الاشراف واهل السودد وقال ابن ابي اويس ارادت ان
البيت طويل من الرجال وقد روي طويل العماد فيكون طوله اما لطول
ساكنه وامتداد قامته كما اشار اليه ابن ابي اويس او لكرمه واظهاره
بيته ليراه الوارد ويهتدي برفعة سمكه له القاصد والجلاد لسعة
مكانته وسعة ثروته وحاجته الى اعلا سمائه وتوسعة ارجائه
ليحمل كثير خيره وجماع غاشيته ومنتابي بره الاترى قول ام زرع بيتها

فساح وعلى هذا حمل من قال هذا قول الخنساء • طويل النجاد رفيع
العماد ساد عشيرته امردا وعليه حمل ثعلب قول الاعشى طويل النجاد
رفيع العماد يحمي المضاف ويعطي الفقيرا وقد وصف ابو الطيب خيمة
سيف الدولة فقال وتركز فيها القنا الذبل وذمّوا بصنه هذا فقال
بعضهم اذا دخلوا بيوتهم اكبوا على الركبات في فنا العماد • وقال
الاخر فما البيوت لا ترى صهوا تهابا الكوم جشامون عند التراب وقد يكون
يريد بالعماد البيت ومعنى رفعته اشرافه لموضع مرتفع ليقصده الاضياف
ثم وصفته بالكمال في صورته وامتداد القامة في بنيته وعرضت
لذلك بقولها طويل النجاد فان الطويل القامة يحتاج الى تطويل نجاده
وهذا مما تمادح به الشعراء وتتمدح به قال العقيل بن علفة طويل
نجاد السيف وهم كانوا بصول اذا استنجدته لثقيل وقال ابو خراش
طويل نجاد السيف ليس بجيدر • اذا اهتز واسترخت عليه الحمائل وقال
مروان بن ابي حفصة قصرت حمايل عليه فقلصت • ولقد تانق قينها
فاطالها • وقيل معنى قولها رفيع العماد اي طويل قال المبرد يقال للرجل
طويل العماد اذا كان معمدا طويلا ومنه حديث يزيد بن ابي سفيان عند موته
فقد علمت يعني قريشا انا اصبحهم وجوها واطولهم عمودا واسعدهم
جدودا فعلى هذا يكون طويل النجاد تاكيدا لما تقدم وفي صفته
انه صاحب سلاح وشكة فلهذا اقتصرت من الاصل طوله على
طول نجاده دون غيره لكن ملابسته ثم وصفته بالكرم في سجيته
والجود بما في يده ويحتج عن ذلك بقولها عظيم الرماد وذلك ان من
كثر ضيفانه ونحر لهم واشتواه وطبخ اطعمتهم كثرت ناره
وكثر رماده فهذا تاويل حسن وقد اكثر في هذا الشعراء فقال بعض
العرب يادر حمل من انا سيدا بني تهام كم فيهم من فتى حلو شمايله
جم الرماد اذا ما اخمد البرم • ومعناه وقيل اخر ذهب اليه الخطابي
ان يكون ناره لا تطفا ابدا ولا تخمد ليهتدي له الضيفان كما قال
الشاعر متى تاته تعشو الى ضوء ناره • تجد خير نار عندها خير موقد •
وكانت عادة اجواد العرب وقود النيران في ظلم الليل على مسارف الارض

لتشابها

لتشابها الضيفان وربما رفعت على الايدي منها الاقباس قال الشاعر
ومستنبح بات الصدى يستتيهه • فتاه وجوزا الليل مضطرب الكسر
رفعت له ناري تعرّف باضرامها ان بليح لي الساري هلم الى القرى • وقال
اخر • ومستنبح قال الصدى مثل قوله حضان له ناري فلاحظ حزل
وقمت اليه مسرعا فغنمته مخافة قومي ان يفوزوا به قبلي حضاني و
حضوة النار اذا حركت جمرها وقال اخر • واني لادعو الضيف بالضوء بعدما
كسى الارض نضاح الجليد وجامده • ثم اكدت ذلك بقولها قريب البيت
من النادي تريد بذلك انه ينزل بين ظهراني الناس ومجتمع الحي ومقصد الوارد
وطالب الضيافة ليكثر اضيافه ولا يتوارى باطراف الحلل واعوار المنازل
ويبعد عن سمت الوارد فرارا من القاصد وملاذا من الطارق ليلا
يهتدوا الى مكانه • ويستبعدوا موضعه فيصدفون عنه ويميلون
الى غيره قال زهير يسط البيوت لان يكون مظنة • من حيث توضع
جفنة المسترفد اي يتوسط البيوت ليكون معلما للضيافة طالب الرفد
وقال ابن هرمة • اغشى الطريق بقبتي ورواقها • واحل في نشز الربا
فاتيم • وقال طرفة • ولست بحلال التلاع لبيته ولكن متى
يسترفد القوم ارفد • وقال اخر • له نار تشب على يفاع • اذا النيران
البست القناعا اي سترت بوقودها في الغيطان وتلاع الاودية
وقنعت بذلك عن ان تظهر وفي قولها ايضا قريب البيت من النادي معنى اخر
دلت به على شرفه وزعامته وذلك ان الاندية انما يجتمع فيها بقرب
ابيات السادة ومنازل الزعماء الذين يعني اليهم ويجتمع لهم وقولها
لا يشبع ليلة يضاف • ولا ينام ليلة يخاف • وصفته بكرم النفس
وسخائها ونزاهتها وايثارها وقلة همته بالاكل وشرهه له وانه اذا
ضيف واحتفل في اكرامه واكثر اطعامه لم يكن همه شبع بطنه واكتفى
باليسير واقتصر على ما يقيم صلبه ويرد قوته منه ولم يظهر الحرص
على ما لديه من طعامه والجشع للاكثار من اكله واغتنامه اخذ منه
ما يسد جوعته ويجافي عن الاكثار منه ويخاف معرته كما قال حاتم •
لقد كنت اختار القرى طاوي الحشى • محافظة من ان يقال لئيم • وكما قال

دريد • تراه خميص البطن والزاد حاضر • كثير ويعدو في القميص المقدد •
وكما قال الآخر • افشو بطني في بطون كثيرة • واحسو قراح الماء والماء
بارد • وقال الآخر وهو حاتم • اكف يدي عن ان ينال التماسها • اكف
صحابي حين حاجاتنا معا • ابيت هضيم الكشح مضطمر الحشى من الجوع
اخشى الذم ان اتضلعا • واني لاستحيي رفيقي ان يرى • مكان يدي
من جانب الزاد اقرعا • وانك مهما تعط بطنك سؤله • وفرجك
نالا منتهى الذم اجمعا • وقال طرفة يمدح نفسه [illegible] ويهجو غيره
بضده • ويشربي حتى يغمر المحض قلبه • وان اعطه اترك لقلبي مجثما •
وقال عروة بن الورد • يعد الغنى من دهره كل ليلة • اصاب قراها
من صديق ميسر • وهذه كانت وصايا العقلاء وخلق الحكماء والانبياء
واشراف العرب فقد نا ابو الحسن علي بن مشرف الانماطي من كتابه قال نا ابو
اسحق ابرهيم بن سعيد نا ابو محمد بن النحاس نا حمزة بن محمد الحافظ نا احمد
بن شعيب نا محمد بن سلمة نا ابن وهب احمد بن معاوية بن صالح قال
سمعت يحيى بن جابر يحدث عن المقدام بن معد يكرب ان النبي صلى الله
عليه وسلم قال ما وعا شر من بطن وفي غير هذه الرواية ما ملا ابن
ادم وعاء شرا من بطن حسب المسلم اكلات وفي غير هذه الرواية لقيمات
يقمن صلبه فان كان لا محالة فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث
لنفسه ويروى عن بعض الحكماء مثله وقال ودع الثلث للتفكر اشار
لقولهم البطنة تذهب الفطنة ويروى عن لقمان انه قال لابنه لا تاكل
شبعا فوق شبع فانك ان تنبذه للكلب خير لك من ان تاكله ونحو قول
الطرماح اشد الفتى • يمشي ويصبح جوفه من قوته • وبه تختلف
الامور مجار • وبيت خلقهم بكت كانه وطب يكون اناه بالاسحار •
وقال الحميد الارقط • اتانا وما ساواه سحبان وائل • بيانا وعلما بالذي
هو قائل • فما زال عنه اللقم حتى كانه من العي لما ان تكلم باقل وقد
يحتمل ان يكون معنى يضاف ينزل به الضيفان يقال ضفت الرجل اذا نزلت
به واضفته املته الى ضيافتي يقول فهو لا يشبع لايثارهم بما عنده
وتقديمهم على نفسه قال الله تعالى ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم

خصاصة

خصاصة • وكما قال طويل نجاد السيف يصبح بطنه خميصا وجاديه على
الزاد حامد • وقد جمع هذه المعاني بعض شعراء العرب • فقال • وزاد
وضعت الكف فيه تانسا • وبالي لولا ان اشد الضيف من اكل • وزاد رفعت
الكف عنه تكرما • اذا ابتدر القوم القليل من البقل • وزاد اكلناه ولم ننتظر به
غدا ان نخل الدهر من اسوا الفعل كذا انشده وفسره صاحب الحماسة وقد
يصح ان يكون البقل قال الحربي البقل طعام القرى • ماذاق بقلا بعد عام
اول • ثم وصفته بالحذر والحزم وحماية الذمار احيان الخوف واوقات
الذعر وانه ممن لا يكل الامر الى غيره وينام بل يباشره بنفسه وتلقاه
بحشاشته كما قال غير ميل ولا تكسر وكل **غريب قول العاشرة**
المزهر العود الذي يضرب به ويغنى به والمسارح المراعي البعيدة يقال
سرحت الابل وسرحت اللازم والمتعدي واحد قال الله تعالى وحين تريحون
وحين تسرحون والمبارك نحو منه وهو حيث تبرك والمهالك مهلكه
غريبته قولها مالك وما مالك ما ههنا استفهام فيه معنى
التعظيم والتهويل والتعجب وهذا كله من معاني ما كما قيل لامر ما تدرعت الدروع
وحقيقة الكلام مالك وما هو اي شيء هو ما اعظمه واجله واكرمه
ومثله قوله تعالى الحاقة ما الحاقة والقارعة ما القارعة اي الحاقة
او القارعة اي شيء هي ما اعظمها واهولها وكذلك قوله ما اصحاب اليمين
وما اصحاب الشمال وشبهه اي ما اعجب امرهم واهوله واعظمه في النعيم
او العذاب ولكن تكرير الاسم ادخل من الكناية في باب التعظيم والتهويل كما ان
اللفظ المبهم واستعماله هنا اعم وافخم من التصريح والتفصيل • ومنه
قول الشاعر • يا سيدا ما انت من سيد موطأ الاكناف رحب الذراع
واعراب قولها ان ما الاولى مبتدا او لوما في موضع رفع بالابتدا ايضا
وما لك الثاني خبره والثالث مبتدا ثالث وما بعده خبره وعليه تعرب
الابيات المتقدمة الا ان الجملة الثانية فيها موضع خبر المبتدا الاول وجاز
ذلك وليس في الجملة ما يعود على المبتدا الاول فهو كلام محمول
على معنى ما الاولى لفظه وقولها مالك خير من ذلك زيادة في الاعظام
وتفسير لبعض الابهام وانه خير مما اشير اليه من ثنا وطيب ذكر وفوق

لان معنى ما هو اي
هو فهو يعود على

ما اعتقدها ويحتمل ان يعني من سودد وفخر وان قدره يربي على كل قدر وكنت
بذلك اذ كان كالحاضر من قولها وعندها ويحتمل ان يعني بخير من ذلك
ان المثني عليه قبل وانه اجمع منه لخصال السادة والفضل معناه
هذه وصفت زوجها بالكرم وكثرة الضيافة والاستعداد للضيفان
والمبالغة في برهم واكرامهم ومعنى قولها قليلات المسارح كثيرات
المبارك اي انه لاستعداده للضيفان بلحومها والبانها وكرم خلقه لا
يوجههن نهارا الا قليلا ولكنهن تبركن بفنائه فان فاجاه ضيف
وجدها حاضرة فيقربه من لحومها والبانها ولم يجدها غائبة عنه متباطيا
فيما يكرمه به مدة طلبها كما قال بعض بني ضبه • ومختبط قد جاء او ذي
قرابة • فما اعتذرت ابلي عليه ولا تشقى • حبسنا ولم نسرح لكيلا يلومنا
على حكمه صبرا معوده الحبس وطاف كما طاف المصدق وسطها • فخير
منها في البوارك والسدس • وقال اخر وفو لعنها في السنين لفنا اذا لم
يجد مكسبا كاسب • وقال اخر • ومولنا وقف على مبتغي القرا وابين
المستنجين والمجم اي ثابتة مقيمة للمعتفين • ومثله قول ام زرع
في وصفها له على الجمم محبوس ونسا في نفسه وهذا قول ابي
عبيد والاكثر وقال بعضهم ان كان لا تسرح الا قليلا من النهار فهن
هالكة هزلا وان كان يسرحهن فقد ضاع اضياف البلد والمعنى انها
قليلة المسارح لقلة الابل وكثرة المبارك لكثرة ما تثار فتحلب ثم
تبرك فلكثرة ما تفعل هذا بها تكثر مباركها وقال يعقوب بن السكيت
اي مباركها على الحقوق والعطايا والحمالات والاضياف كثيرة ومراعيها
قليلة اي انها تكثر لمن شاء بها من الضيفان وطلاب الرفد • وانشد
يعقوب قول عروة ابن العدد • يريح على الليل اضياف ماجد كريم وما
لي سارحا مال معتر • قال يقول اذا راح بالعشي راح فيها الاضياف
واذا سرحت بالنهار سرب قليلة لانه لا احد فيها منهم ونحوه لابن
الانباري • وقال اسمعيل بن ابي اويس عن ابيه معناه ان ابله كثيرة
في حال بروكها قليلة اذا سرحت لكثرة ما ينحر منها للاضياف في مباركها
وهذا نحو قول بعض العرب • الى حيذام ما لقد تركناه سوامه واعرضنا فيه

بواق

23

بواقي صحاح لنا حمدا رباب المئين ولا يرى الى بيتنا مال مع الليل رايح
ويكون على رواية من روى عظيمات من هذا المعنى عبر عن الكثير
بالعظم وقد يكون معنى عظيمات المبارك كناية عن سمنهن وعظم
جثثهن فعبر بعظم مباركهن عن ذلك وقد يكون معنى قليلات
المسارح عبارة عن قلة الامكنة التي يرعى فيها من الارض وانها
لا تتعدى في المرعى فيكثر مسارحها ولكن رعيها ابدا بقرب المنزل • وحول
الفنا وبحيث لا يبعد طلبها متى احتيج الى نحرها ونزول اعتراض المعترض
بذلها لقلة رعيها فقد يكون في قرب منازل اربابها ما يغنيها للخصب
وكثرة كلايه ومعنى قولها اذا سمعن صوت المزهر ايقن انهن
هوالك اي انه مما كثرت عادته بانزال الضيفان وطعامهم وسقيهم
وضربه المعازف عليهم ونحره للابل لذلك صارت الابل اذا سمعت
المعازف عرفت بجري عادتها انها تنحر هذا معنى قول ابي عبيد وغيره
ويؤيد هذا التاويل قولها في الطريق الاخر اذا سمعن صوت
الضيف وقيل المراد انها اذا سمعت المزاهر ايقنت بالهلاك لما اعتاده
من نحرها اذا سمع الغنا وانتشا وهبت تليد الا يحمده وهذا الاعتقاده
الابل ويقينها لا مع التكرار والاستمرار • وقد يحتمل ان يكون هذا استعارة
لكثرة النحر وترادف الحقائق والعروان كانت لم ترد فهو الابل لهلاكها
ولكن لما كان ذلك منه يوافق اهلاكها ونحرهن من لم يعقل به اضيف
ذلك اليها اذهف واقع بها على ضرب من الاستعارة وهذا النحو كله
من فصيح الكلام وبديع البيان وهو نوع تسميه اهل النقد والبلاغة
الارداف والتتبيع وهو ابلغ في الوصف كما سنذكره بعد ومنه في معنى
ما نحن فيه ومثاله قول الشاعر • ومستنبح يهوي مساقط راسه
الى كل شخص وهو للسمع اصور • حبيب الى كلب الكريم مناخه • بغيض
الى الكرام والكلاب بصير • وذلك ان الكلب ينعم فيما يلغ فيه مما ينحر له
وياكل من سقاطها وعظامها فمتى راى ضيفا احب نزوله لذلك
والكوم تبغضه لانها تستيقن بنزوله النحر والعقر فعبر عن التمدح
والسخا بالحب والبغض وعبر عن جوده الموصوف ونحره للاضياف

ما هو من توابعه وارادفه فان بعض الكوم ما له تبع لنحرها بسببه ومحبة
الكلكة له ردف لتنعمه معه وكل ذلك تبع لاكرام ربه للضيفان وكنايه
عن جوده فكان هذا التشبيب ابلغ من قولها اذا ضرب المزهر نحرن او اذا
نزل به ضيف نحرن وهذا مثل ما انشده الحربي لانس بن مسلمة يمدح
النبي صلى الله عليه وسلم وابي بكر خير اذا ابل محمد عزل تناوحت
بهب شمال . واذا راين لدا الضفا غريبة . فاضت على الخدود سجال
فترى لهن من القتال على الثرى . رحما وما يحيى لهن فصال . قوله
عزل اي غير ممتنعة كالاعزال الذي لا سلاح معه فيمتنع ويقول اذا
هبت الشمال وجاء الشتاء والقحط تناوح بعضها الى بعض لعادتها بالذبح
واذا رات غريبا طارق تبكت لعلمها انها تذبح له وليس يحيى لها فصال لكثرة
امرائها واذا كان زمن الخصب وطلب الناس التحول اذ لا يطيقون ولا
يقدرون على ذلك زمن القحط والشدايد لشغلهم بانفسهم لذلك كانت لهذه
الابل البان كثيرة يسيل على الارض حتى كانها رخم لبياضها
وقال ابو سعيد النيسابوري لم يكن العرب تعرف العود الا من خالط الحضر
منهم . والذي يذهب اليه انه المزهر وهو الذي يزهر النار للاضياف
الطارق فاذا سمعت صوت ذلك مع معار النار ايقنت بالعقر قال
القاضي رحمه رضي الله عنه لا نعرف احدا روى المزهر كما قال النيسابوري
وان كان يصح لان زهو السراج والنار تلالؤ لسانيهما والذي رواه الناس
كلهم المزهر وهو الصواب لا ما قاله ان شاء الله تعالى . وقوله ان العرب كانت
لا تعرف العود الا من خالط الحضر منهم فمن اخبره ان مالكا المذكور
لم يخالط الحضر وقد ذكرنا في بعض طرق هذا الحديث ان خرجه من قرى
اليمن وذكر انه اجتمع بها احدى عشرة امرأة والقرى هي الحواضر . والمدن
قال الله تعالى رجل من القريتين عظيم . وفي الطريق الاخر انهن من قريش
واثنتين من اهل مكة مع ان اشعار العرب جاهليها واسلاميها بدويها وحضريها
قد ذكرت فيها المزاهر واشباهها قال الاعشى حاسر حوله الندامى
فما ينفك يدعو في مزهر مندوف . كذا انشده ابو عبيد وغيره وهو احاله
من الرواية وغلط والشعر يعني مكر محذوف لعين الزق ونغمة وصدح

اذا يبعها

اذا يبعها الشرب ترقت في مزهر مندوف . وقال ايضا اذا قلت غني الشرب
قامت . بمزهر عجل يكاد اذا رات يدا الكف ينطق وقال . ومستمعان
وصناجه تغلب بالكف اوتارها . وبربطنا معمل دائم وقد كان تغلب
اسكارهما . وقال . وقيانهن الوند والياسمين والمسمعات بقصابها
ومزهرنا معمل دائب فاي الثلاثة ازرى بها . ترى الصنج يبكي له شجوه
ان سوف يدعى بها . وقال . ومستجيب لصوت الصنج تسمعه اذا ترجع
فيه القينة الفضل . ولكثرة ذكره لهذا سمي الاعشى صناجة العرب
وقال الاقيشر وبربط بحاذيه . صبح اذا ما ترنما . وقال امرؤ القيس
فان امس مكروبا فيا رب قينة منعمة اعملتها بكران . لها مزهر يعلو
الخميس بصوته . اجش اذا ما حركته اليدان . والكران والمزهر هو عود
الغنى وكذلك البربط والصنج له روميه وقال علقمة بن علاثة . قد
الشرب فيهم مزهر وقال بريح بن مسهر الطائي . وفينا مسمعات عنه
شدو . وقال ابن الكثير . ويوم كظل الرمح قصر طوله دم الزق عنا
واصطفاق المزاهر . وقد يكون فيه وجه ثالث يقطع اعتراض ابي سعيد
وغيره وقد يكون انه شبه بالحال وهو ان يراد المزهر الدف المربع بوجهين
وهكذا تفسير المزهر لجماعة من قدماء الفقهاء والعلماء وقاله الاصبغ
ابن الفرج وابن الحبيب في واضحته فان صح ان هذا الاشعر عربي غير مولد
فعلى هذا لا ينكر ضرب الاعراب لها وعادتهم لاطراب الضيفان بها وقد روي
بيت الاعشى المتقدم بمزهر محذوف اي مقطوع قد قطعت اركاع جلده
هكذا فسروه وهذا يبني انه الدف الذي وصفناه وصحيح الرواية ما
قدمناه ورايت صاحب لحن العامة ويقولون لبعض الدفوف مزهر
وانما المزهر العود الذي يضرب به فقد قوله انه ليس
بعربي ومعنى قولها في الرواية الاخرى كثيرة المسالك قليلة
المبارك فان لم يكن وهما من الرواية فمعناه انها كثيرة في حال
سرحها ورعيها قليلة في مباركها لكثرة ما نحر منها او انها كثيرة
المسالك سبل الخير اي بوجهها ويسلك بها غير مسلك من المعروف
من رفد ومعونة وحمل وضيافة وحمالة دين ودية وصلح ونحو ذلك

كما قال بعض بني العصر • فلم ار مثل الابل مالا لمقتن ولا مثل ايام الحقوق
لها سبلا • ومنه حديث علي رضي الله عنه وقد سال ابا الفرزدق غالب
بن صعصعة عن ابله فقال يا امير المؤمنين ذعذعتها النوائب • و
فرقتها الحقوق فقال علي رضي الله عنه ذلك افضل سبلها وكان غالب
قبل ذا ابل كثيرة ويكون قولها في الرواية الاخرى كثيرة المسالك
قليلة المبارك كناية عن قلة بقائها في مكانها وبروكها بفنائه لكثرة
المسارح فقليلة المبارح ان لم يكن خرج خرجه عن يده والله اعلم ويكون معنى
قولها على الرواية الاخرى كثيرة المسارح قليلة المبارح ان لم يكن
وهما اي تنسلخ ذاتها كثيرة فهي كثيرة المسارح ذاتها لذلك وهو مع
ذلك قليلة المبارح اي لا تبرح ولا تبعد عن قرب منزله لما ونعتاه و
الموفق الله • وقولها في رواية ابن الانباري • وهو امام القوم في المهالك
فيه تاويلات قيل اراد بالمهالك الحروب تصفه بالشجاعة • وانه
لبعثه بشجاعته يتقدمهم ولا يتخلف كما قال الشاعر • وكتيبة
شعثا الوجوه بواسل كالاسد حين تذب عن اشبالها • قد قدت
اول عنفوان رعيلها فلففتها بكتيبة امثالها وقال الاخر تقد
وامامهم في كل مرهاة طلائع انجد في كشيحه هضم • وقيل بل اراد
انه هاد في السبل الخفيفة عالم بالطرق في البيداء الدوية
والمهالك المرامي والمفاوز سميت مهالك • لاهلاكها لسالكها وفي
تسميتها مفازة ثلاثة وجوه قيل هو بمعنى الهلاك اي مهلكة •
يقال فوز الرجل اذا هلك كما قال • اذا ما تقي كعب وفوز جرول
وقيل سميت مفازة على طريق التفاؤل لمفوز سالكها كما قالوا للديغ
سليم • وقيل بل سميت مفازة لان من قطعها وجاوزها فاز
من الهلاك فوصفت هذه زوجها على هذا التاويل لمعرفته بالهداية
في المفاوز والقفار فهو يتقدم القوم لذلك كما قال علقمة • وقد اقود
امام القوم سلهبة يهدي بها نسب في الحي معلوم • وقال اخر • ولقد
هديت القوم في دمومة فيها الدليل تعض بالخمس تفسير قول
الحادية عشرة بنيته قوله قالت الحادية عشرة على تصحيح

الرواية

الرواية في هذا الحديث ومعروفها هو المشهور الجاري على منهاج كلام العرب
باثبات العلامتين في الحادية وفي عشرة ولكن اسكان شين عشرة وكسرها على
اللغتين ولا يكون الحادية عشرة الى تاسعة عشرة الا مفتوحة الاول والاخر
لان الحادية مع عشرة كالكلمة الواحدة كحضرموت وبعلبك كما فعلوا باحدى عشرة
سواء وكذلك لو لم يدخل على الحادية الالف واللام لم يكن الا مفتوحة عند
سيبويه واما يعقوب فحكى هنا جواز الرفع والخفض في تسعة عشرة
على تقدير حادية احدى عشرة ولم يجزه مع الالف واللام وكذلك لو كانت
لمذكر عند سيبويه لم يكن فيه الا الفتح وحكى الفارسي انه يجوز اسكان
في حادي عشر وثاني عشر ان لان موضعه نصبا في الاعراب كما قالوا قالي قلي
هذا كله على مذهب قولهم هذا خامس وهذه خامسة واما من يقول
خامسة وخمس فيقول قالت الحادية عشرة والحادية ههنا معربة
غير مبنية وقال بعضهم على هذا حادية عشرة اي احد عشرة قال سيبويه
وهو القياس ولكنه حذف استخفافا لانه لفظ احد عشر فدل على ما
حذف منه ووقع لبعض شيوخنا في رواية هذا الحديث قالت الحادية
عشرة ولبعضهم الحادية عشر وهذا كله خطاء لا مخرج له الا على بعد
وتكلف وجد عربية قولها اناس من حلي اذني اي حرك اذني
بالحلي من القرطة والشنوف والنوس حركة كل شي متدل وسائل قال بعضهم
اناس ثقل حتى ناسا اي تدليا واضطربا وهذا نحو الاول قال ابن الكلبي سمي
ذا نواس احد ملوك اليمن لضفيرتين كانتا له تنوسان على عاتقه ومنه
حديث ابن عمر انه دخل على حفصة ونوساتها تنطف ومنه الحديث انه
كان للعباس ضفيرتان تنوسان على راسه والحلي جمع ويقال بكسر الحاء
وقرئ في الكتاب العزيز بهما جميعا والحلي واحد وهو كل ما يتحلى به من
ذهب وفضة وجوهر وشبهه وقولها بجحني فبجحت اي فرحني ففرحت
قال الراعي • وما الفقر من ارض العشيرة ساقنا اليك ولكنا بقرباك نبجح
اي نفرح هذا قول ابي عبيد وقال ابن الانباري معناه عظمني ويقال
وقوله فبجحت الي نفسي اي عظمت عندي وتاويل البنت المتقدم اي بقرابتنا
منك نفخر ونتعظم • وقال يعقوب بجحت فخرت وقال ابن ابي اويس معناه

وشغ علي ونزقني وفي لها وفرعني في رواية من زاده فيحتمل ان تريد
بالفرعين اليدين لانهما كالفرعين من الجسد تعني انه حلى اذنيها و
ومعصميها وقد يحتمل انها ارادت بالفرعين العنق مع اليدين واقامت
اليدين مقام فرع واحد لكونهما جنسا واصل الفرع كل ما ارتفع فالرأس
واليدان من فروع الجسد فاذا حليا فقد حلي فرعاه • ويحتمل ان تريد
بفرعي غدائرها وقرني راسها والعرب تسميها فروعا قال امرؤ القيس
وفرع يغشي المتن اسود فاحم واضافت لتنوس اليه كما اضافته الى الاذنين
لكونه فيهما ولقربه من قرون راسها ولانه ما ترخي مع القرقر من نواصي الحلي
تنوس بهما وقد جرت عادة المترفات بتنظيم غدائر شعورهن وتحلية
نواصيهن وقرونهن فلعل هذه فعلت مثل ذلك من فعلهن ومن رواه
فرعي فيحتمل فرع الشعر والراس قال ابن ابي اويس حلى راسي فدلكي يتدلى
من كثرته ولعله عضديه وقع في بعض الروايات اذنيه
وعضديه وفرعيه واليه بزيادة الهاء وهذه هاء السكت الملحقة في
الوقف وانقطاع الصوت وبعضهم يسميها هاء الاستراحة وهي تلحق
الاسماء والافعال والحروف لثلاثة علل لصحة الحركة التي في اخر الكلم
قبلها وتبيينها كقوله كتابيه وماليه • ولم يعزه ولم يتسنه عند بعضهم
وانه بمعنى نعم وانيه ولعله واشباه هذا او لتمام الكلام المنقوص و
استقلاله بها كقوله عه • وله • وقه • ولا تنسه • والوجه الثالث
للحاجة عندهم الى الصوت قبلها في اخر الكلمة وذلك في الندا والندبة
وقد لحقوها في الاسماء غير المتمكنة اذا كان قبلها الف لضعف الالف
نحو هاهناه وها ولاه ولم يفعلوا ذلك في المتمكنة وبعدا لكنا يلحق
فقالوا اضربتكه وضربيه وغلاميه وعلاميه فرعيه واذنيه من هذا الباب
وذلك لخفا اليا وان ما قبلها ساكن فكانت عندهم اولى ببيان حركتها
من غيرها فبينت بالها معناه وصفته بانه احسن اليها وحلاها
ورفه عيشها وسمنها واراها المسرة في احوالها ومعنى قوله ملا من شحم
عضدي قالوا ابو عبيد لم ترد العضد وحده وانما ارادت الجسد كله لان
العضد اذا سمنت سمن سائر الجسد ووجه اختصاصها العضد بذلك

والله اعلم

والله اعلم لانه اقرب مما يلي بصر الانسان من جسده واول ما يظهر له فيه
سمنه وفي حديث ابي هريرة فجعلت انظر في عطفي هل سمنت وغريب
قولها وجدني في اهل غنيمة هي تصغير غنم وقولها بشق والمحدثون
يقولون بشق قال ابو عبيد بالفتح هو موضع قال الهروي وهو الصواب
قال ابن الانباري هما بالفتح والكسر موضع قال ابن ابي اويس وابن حبيب
يعني بشق جبل لقلتهم قال ابن ابي اويس وقلة غنمهم قال الفقيه القاضي
ابو الفضل رضي الله عنه كانه تريد انه لقلتهم وقلة غنمهم حملهم سكنى
شق الجبل اي ناحيته او بعضه لان الشق يقع على الناحية من الشي ويقع
على بعضه والشق ايضا النصف فيكون على هذا وعلى ما جاء به الرواية
صحيحا وقد يكون هذا التفسير على رواية شق بالفتح وهو الذي يعني لها
لقلتهم اي شق في الجبل كالغار ونحوه وله وجه اخر ذهب اليه نفطويه
وراته القتبي هو بالحسب اولى واصح لغة ومعنى ان الشق بالكسر الشظف
من العيش والجهد منه قال ابن دريد يقال هو بشق وشظف من العيش
فالجهد هنه قال ابن دريد يقال وعليه تاول قول الله تعالى الى بلد لم تكونوا
بالغيه الا بشق الانفس وقولها في اهل صهيل واطيط ودايس ومنق
فالصهيل اصوات الخيل وعلى رواية حامل وصاهل اي جمال وخيل او
اصحاب جمال وخيل غريبة قولها وحامل فالجامل جمع جمل وهو
اسم للجميع غير مكسر عليه الواحد قال النابغة اجاد له نومه في شوى
وجامل تريد في شوى وجمال ومثاله من فاعل الذي يراد به الجمع قولهم باقر
وطاير وسامر ودابر ولذلك قالوا كابرا عن كابر وقال على روس كروس
الطاير وقال الله تعالى مستكبرين به سامرا تهجرون وقد يكون حامل
وصاهل اسما فاعلين للرجال المالكين للجمال والخيل الصاهلة والطعام
المداس كما قال • فانك لابن بالصيف تامر • وقال لبي له باسمه ناصب
اي ذي نصب وذو تمر ولبن فيكون تقديره فنقلني من اهل جمال وخيل
او ذوي جمال وخيل وقولها واطيط قال ابو عبيد الاطيط اصوات الابل
قال يعقوب الاطيط الابل وهو غيرها من البطنة ومن امثالهم لا افعل
ذلك ما اطت الابل • قال الفقيه القاضي رضي الله عنه واصل الاطيط صوت

اعدوا المحامل والرحائل وبسبه ان يريد بالاطيط هذا انه يريد انهم
اصحاب محامل ورفاهة لأن المحامل لا يركبها الا اصحاب السعة
والرفاهة وكانت قديما بن عمر ركبا العرب ثم ان الحجاج حسنها
وزاد فيها فلهذا نسب اليه عملها وبهذا السبب غلط العسى ابا عبيد
وهو الغالط لما ذكرناه وفي الحديث في ذكر باب الجنة ليأتين
عليه زمان وله اطيط يعني صوتا بالزحام وفي حديث غيره وله
اطيط كاطيط الرحل قال الهروي الاطيط نقيض صوت المحامل
وفي الجمهرة الاطيط صوت الرحل الجديد او النسع اذا سمعت له
صريرا وكل صوت يشبه بذلك فهو اطيط وقال ثعلب الاطيط نقيض
جلود الابل عند الكظة والدايس قال ابو عبيد قال له بعضهم من دايس
الطعام وهو دراسته واهل العراق يقولون الدياس واهل الشام
الدراس قال ولا اظنها واحدة من هاتين الكلمتين فان كان كما قيل
فاراد انهم اصحاب زرع قال الهروي درس الطعام وداسه واحد
وحكي عن بعضهم الدايس الاندر قال يعقوب الدايس الذي يدوس
الطعام وقال بعضهم الدياس الطعام الذي اندر له في دياسه وعندهم
من الطعام غير خبز هو متصل وقولهم منق فالمحدثون يقولونه
بالكسر قال ابو عبيد ولا ادري ما معناه قال فاحسبه منق بالفتح
فاراد به من ينقي الطعام وحكى الهروي عن بعضهم المنق
الغربال وقال اسمعيل بن ابي اويس بالكسر نقيق اصوات المواشي و
الانعام يصف كثرة ماله وقال ابو سعيد النيسابوري هو ماخوذ
من نقنقة الدجاج يقال انق الرجل اذا كان له دجاج تنقنق اي انهم
اهل طير ايضا وقال ابو عمرو ابن سراج ويجوز ان يكون منق بالاسكان
ان كان روي اي والعام ذات نقي اي سمان معناه وصفته انه نقلها
من شظف عيش اهلها وتبلغهم بغنمهم الى اهل الثروة والاموال
الواسعة من الخيل والابل والرحال والزرع والبقر والدواب الداسة
والعبيد والجود والالات المتخذة للاطعمة المصلحة لها والماشية الكثيرة
والطير المتنعم باكلها وذلك ان اصحاب الغزاهل شظف وكفاف وعدم

نزوة

نزوة ومن دعا العرب ان كنت كاذبا فحلبت قاعدا اي صار مالك غنما
فحلبتها القاعد ونصنه هي اهل الخيل والابل وقد قال صلى الله
عليه وسلم الفخر والخيلاء في اهل الخيل والابل الفدادين اهل الوبر
والسكينة في اهل الغنم فاخبرت هذه بانتقالها من تلك الحالة
الى هذه ورغد عيشها بالبان هذه المواشي ولحومها وغير ذلك
من الاطعمة لسيما ما ساربها بما يداس ويبتغي الى الخبز وكان اقنع
اغذية العرب واعز اطعمتها اذ لا يجد منهم الا الكثير الثروة ومن
قارب الارياف والحواضر والا فاكثر اطعمتهم انما كانت اللحوم والالبان
والتمر وعليه يدل اشعارهم ومن غرائبه اكل الخبز وعزته عندهم
ما سمي عبد الله بن حبيب العنبري اكل الخبز لاقتصاره عليه ورغبته
عن غيره ولهذا قال كسرى ابرويز لهوذة بن علي وفد عليه كلامه ما
غذاؤك ببلادك قال الخبز فقال كسرى هذا عقل الخبز لا عقل اللبن
والتمر ومن غرائبه حديث ابي برزة في قوله وكنت اسمع ان من اكل
الخبز سمن الحبيب فجعلنا ناكل وننظر هل سمنا اذا وجد واخبره بخبر
الحديث غريب قولها فعنده اقول فلا اقبح اي يقبح قولي
علي ويرد وقولها انقمح اي ارتوي حتى لا احب الشرب ماخوذ
من الناقة المقامح وهي التي ترد الحوض فلا تشرب وترفع راسها ريا ومن رواه
فاتقنح فان ابا عبيد قال لا اعرفه ولا اراه المحفوظ الا بالميم قال
الفقيه القاضي رضي الله عنه وحكى ابو علي القالي في كتابه البارع و
الامالي يقال قنحت الابل تقنح بفتح النون في الماضي والمستقبل
قنحا باسكان النون وقال بعضهم قنحا اذا تكارهت الشرب بعد الري واكثر
كلامهم فقنحت تقنحا قاله ابو زيد وقاله غيره ابن السكيت وابو حنيفة
فيهما اذا معنى والميم تتوارد مع النون كثيرا مثل غين وغيم وامتقع
وانتقع وقال شمر عن ابي زيد التقنح التشرب فوق الري قال ابن حبيب
هو الري بعد الري قاله ابن ابي اويس وقال ابو سعيد هو الشرب على
مهل لكثرة اللبن لانها ليست تتاهب غيرها الشرب انما يا هبه عند
القلة مخافة عجزه وقال يعقوب انقنح لا انقطع على شربي ومن رواه اتقنح

بالفاء والتاء فإن لم يكن وهما عندي التكبر والزهو قال ابن دريد الفنجخة
التيه والتكبر يقال في فلان فنجخة ومثله في العين للخيل ويكون هذا
التيه والكبر من الشراب لنشوة سكره كما قال حسان ونشربها فتتركنا
ملوكا وأسدا ما ينهنهنا اللقاء وقال المنخل وإذا انتشيت فإنني رب
الخورنق والسدير أو راجعا على الجملة لعزتها عنده وكثرة الخير لديها
فهي تزهو لذلك أو يكون انتفجت كناية عن سمن جسمها والتباعد يقال
بات فنجا إذا كان واسعا وقولها أتصبح أي أنام الصبحة وهي نوم
أول النهار وقولها وآكل فأتمنح أي أطعم غيري يقال منحه يمنحه و
يمنحه إذا أعطاه وأصله من المنحة والمنيحة وهو أن يجعل الرجل للرجل
لبن شاته أو ناقته ثم يردها ثم جعلت كل عطية منحة وجاءت
بلفظة التفعل التي تقتضي تكرار الفعل وملازمته للفاعل ومطالبته
نفسه أو غيره به فكأنها تطلب من نفسها منحه أو تحرك لذلك
غيرها لتفضل عليه بما فضل من طعامها لكثرته
وصفت هذه بر زوجها بها وتدللها عليه وترفيهه لها وكثرة إحسانه
إليها فوصفت أنه لا يرد قولها ولا يقبح عليها ما تأتي به من كلام
لإكرامه إياها وميله إليها وعزتها عنده وهذا مما يدل على العزة
كما قال السموأل. وننكر إن شئنا على الناس قولهم ولا ينكرون
القول حين نقول وأنها تنام الضحى ولا ينبهه من نومها حتى
تنتبه ترفيها لها ودلالها من هذا المفضل إن عزها تقوم بمؤونة بيتها
ومهنة أهلها وإن لها من الخدم من كفيها ذلك فلذلك تصبحت
في نومها كما قال امرؤ القيس نؤوم الضحى لم تنتطق عن تفضل
قال الخطيب. ولا تقوم باعدائها تنتطق أي تشد نطاقا للخدمة
وأنها تشرب حتى لا تجد لها مساغا فيكره الشرب بعد لتمام ريها وأنها
لا تقلل مشروبها ولا تناهى ولا ينقطع عليها حتى تتم شهوتها فيه
لكثرته وكرامتها كما قال النابغة وتسقى إذا ما شئت غير مصرد
وأنها تعني بذلك شربها وسنه وأنها تأكل وتفضل لها فضلات تمنحها
سواها وجاءت فاء التعقيب المقتضية أن إعطاءها ومنحتها كانت بعد أكلها

وتمام

وتمام حاجتها أو أنها قد سمنت عنده بعد وحسن جسمها تنبيه
قال أبو عبيد ولا أراها قالت ذلك إلا لكثرة اللبن عندهم يعني قولها أشرب
فأتقمح قال القاضي رحمه الله عنى أبو عبيد رحمه الله أنها لا تفتخر بالري من الماء
إلا وهو عزيز والعجب منه ما اضطره إلى هذا التأويل وكأنه لا شراب
إلا الماء فأين أنواع اللبن والخمر والنبيذ والسويق وسائر أشربة العرب
التي يستعملونها ويستعملونها من صريف وضرب وصريح ورحيق ونبيذ
وخمر وجعة وبتع وفضيخ وطلا وباذق وسويق بل كانوا أبدا يموت
بشرب الماء ويلحون به كما قال بعض الهذليين ومن يقلل حلوبته
وينكل عن الأعداء يعفه القراح أي من قل ماله وجبن عن الغارات فلم
يجب المغانم رجع شرابه الماء القراح لإعوازه اللبن وقال الآخر أقسم
جسمي في جسوم كثيرة وأحسو قراح الماء والماء بارد أي أوثر أضيافي
وجيراني بمطعومي ومشروبي وأقنع بسنطف لعيشي وشرب الماء القراح
البارد بدل الذي أردته من اللبن وشبهه والله أعلم وكان عمدة أغذية
العرب على اللبن وهو القائم مقام طعامها وشرابها وفي الحديث ليس
شيء يقوم مقام الطعام والشراب إلا اللبن وفي حديث أبي بدر
ما رأيت كاليوم ما لكم رغبة في اللبن التي في الغد فيكون ذلك بأبيكم
إبل ذات لبن أو ما يتوصل به إلى اللبن فعنده كان غالب عند
عيشهم وطيب مطعمهم فهذا معنى قولها والله أعلم إذ لم يذكر
في أكثر الأحاديث سوى المشروب وقد يكون قولها أشرب كناية عن
الشرب والأكل لصحبة أحدهما الآخر وقد استعملت العرب أحدهما
مكان صاحبه قال الشاعر شراب ألبان وتمر وأقط ولا يحتاج إلى هذا
وغريب إن ثبتت الزيادة المذكورة في الأكل من قولها وآكل فأتمنح
قولها في أم زرع عكومها رداح قال أبو عبيد وغير واحد من الأئمة
العكوم الأحمال والأعدال والعيبات التي تجمع الأطعمة والمتاع والرداح
العظام الكبيرة الحشو قال الهروي الثقيلة ومنه قيل للكتيبة
الموسعة رداح إذا كانت ثقيلة السير لكثرة من فيها ويقال للمرأة
رداح إذا كانت عظيمة الأكفال ثقيلة الأوراك وجمعه رداح عظيمة

وجمل رداح عظيم وقال ابن حبيب فيما قرأته مضبوطا في كتابه
ولم اروه سماعا انما هو دراح اي مليكة كذا سمعت ابن ابي اويس
يقوله ولكسر كما قال شارح العراقيين الرداح غير هذا انى لك
الفقيه القاضي رضي الله عنه وما قاله ابو عبيد وغيره صحيح
معروف ومعناه ظاهر ولا ادري لم انكره ابن حبيب وهو بنفسه
معنى ما فسره هو به مع مساعدة سائر الرواة كما قاله ابو عبيد
فان روايتهم كلهم رداح لا كما قال ابن حبيب عن ابن ابي اويس
دراح لم نره كذا عند غيره ولا اشرحها سواه وسمعناها من شيخ ولا
ذكرت هذه اللفظة في جماهير اللغة وصحاح العربية الا ان تكون من
قولهم رجل درحاية اي ضخم حكى ذلك ابن دريد قال وهو من الدرح
وهو فعلاية • وانشد عكل اذا مشى درحاية وفي كتاب العين
الدرحاية القصير • وقال يعقوب الدرحاية القصير الكثير اللحم الا ان
فدوهم عليه وانما اراد رداح بكسر الراء وانكر فتحها فقط فلقوله
وجه ويكون رداح هاهنا بمعنى ما قال ابو عبيد لكنه جمع رداح كقائم
وقيام ومنه الحديث ان من ورائكم فتنا رداحا وهكذا وجدته
مطبوعا عند بعض رواة هذا الحديث بكسر الراء عربيته
فقولها عكومها رداح اعلم ان وجه اعراب رداح ان يكون خبر المبتدا
مضمر ولا يصح ان يكون خبر العكوم لان العكوم جمع واحدها عكم والرداح
واحد جمعه ردح ومنه حديث علي رضي الله عنه في وصفه الفتن متماحلة
ردح اي طويلة عظيمة قال الشاعر الى ردح من الشيزى عليها
لباب البر • يلبك بالشهاد • فلا يصح ان يكون رداح خبرا للعكوم
لانه لا يخبر عن الجمع بالواحد الا على حد من المجاز • والا احرفا
مسموعة مثل قولهم درع دلاص وادرع دلاص وقد قيل دلص
وامراة هجان ونسوة هجان وقد قيل هجائن • وشمال للواحد
والجمع وفلك للواحد والجمع في احرف قليلة وقيل منه قولهم
رجل سلم وخصم وعدو وقوم سلم وخصم وعدو في احرف سمعت
وقد اختلف اهل العربية في قوله تعالى اولياؤهم الطاغوت

فقال

فقال بعضهم هو واحد وذهب المبرد الى انه جمع وقيل الجن اولياؤهم
الطواغيت قال سيبويه هو اسم واحد مؤنث يقع للجميع كهيئته
للواحد وقال الفارسي هو مصدر كالرغبوت والرهبوت كما قال
فهم رضا وهم عدل • واما راس هذا العلم ومقتدى الفقه الخليل
بن احمد فله في هذه الكلمات مذهب فعنده ان هجانا واحد مع
الواحد جمع مع الجمع وانه عنده في الجمع بمنزلة ظراف قال الفارسي
كانهم كسروا فعالا على فعال كما كسروا فعلا على فعل في قولهم فلك للواحد
والجمع قال فالحركة التي في هجان للجمع ليست التي في المفرد فان الحقنا
هذا بما ذكرناه وادخلناه في بابه على اختلاف مذاهبهم توجه
لكونه مسموعا في هذا الحديث او تجعل رداحا مصدرا كالذهاب و
الثبات والطلاق والكمال فيكون خبرا للعكوم كما قالوا قوم عدل
ورضا على قول بعضهم انها مصادر او يكون على طريق النسبة والاضافة
اي عكومها ذات رداح كما قال الخليل رحمه الله في قوله تعالى السماء
منفطر به اي ذات انفطار ويكون اردت بعكومها الكفل فقالت
رداح وردبة على الكفل الذي كنت عنه بالعكوم لعظمه فكان رداح
خبرا له حملا على المعنى اذ كان واحدا كما قال ثلاث شخوص كاعبان
ومعصر فانث حملا على المعنى اذ كن نساء والاوجه ان يكون رداح
خبر مبتدا مضمر دل عليه ما قبله وتقديره ذلك عكومها كلها رداح او
عكومها كل عكم كما قال علقمة • حدورها من اتي الماء مطموم على
رواية من رواها بالجيم اي حدورها كل جار منها او كلها مطموم
اي مملوء والحدور جمع جد وهي حوافر الشهابات اي تحبس الماء في
اصول النخل • وانشد بعض النحاة عليه قول الاسود بن يعفر يصف
جفنة • نزاحوانبها بالشحم مفتوقا • اي ترى كل جانب منها مفتوقا
ولم تفتح هذه المجازات كلامها لاجل الازدواج والتسجيع على حد
كلام العرب ومذهبهم في الاتباع لمناسبة الكلمات ومقابلة المقاطع
وقولها فياح الفياح والفساح بمعنى واحد اي بيتها واسع كما قال
بيت فسيح وفساح ودار فيحاء اي متسعة وبيت فيح • ومنه الحديث

في سنده الحراثة من فيح جنتها اي من سعة حرثها وانتشاره ومن رواه
فياح فعلي باب المبالغة معناه وصفتها بسعة المال وكثرة
الخير والالات. وسعة فناء البيت وكثرته وهذا لا يكون الا مع الوجد
وقد يحتمل ان يكون كني بالعكوم ورداحها عن كفلها وعظمه كما قالوا
جارية رداح اي عظيمة الكفل وجعل للكفل عكوما وهو جمع لعظمه
كان كل ناحية منه عكم وكني بسعة البيت وفسحة الفناء عن كثرة
خيره وعن عيشه واكبر بيان له كما كنوا بالرحب عن ذلك في قولهم
مرحبا وقالوا فلان رحب المنزل ولا يريدون سعته فقط بل كثرة خيره
ووفور بره فيكون لكل فقرة من هذا الفصل معنيان ووقع في بعض
روايات شيوخنا في هذا الفصل ام ابي زرع وما ام ابي زرع فان صحت
الرواية فانها انما وصفت نفسها وكذا حدثنا بها بعض ثقات
شيوخنا عن ابي العباس العذري وغريب قولها في ابن ابي
زرع كمسل الشطبة قال ابو عبيد والحربي فاصل الشطبة ما
شطب من جريد النخل وهو سعفه وهو ان يشق منه قضبان رقاق
ينسج منه الحصر قال يعقوب الشطبة الشقة من سدي الحصير و
قال ابن الاعرابي وابو سعيد النيسابوري اراد بمسل الشطبة سيفا
سل من غمده وقال ابن حبيب العود المحدد كالمسلة والجفرة الانثى
الانثى من اولاد العنز والذكر جفر وهو ابن اربعة اشهر كذا قاله
ابو عبيد وغيره وجمعه جفار وقال ابن الانباري هو ولد الضاني
وكذا قال ابن دريد قال وهي الانثى منها وفي كتاب العين الجفر من اولاد
الغنم فاذا اتى على اولاد الغنم اربعة اشهر وفصل عن امه واخذ في
الرعي قيل له جفر والفيقة ما يجتمع في الضرع بين الحلبتين والفواق
ما بين الحلبتين والبعيرة العناق والذكر البعير ووفقا لها ويميس
يتبختر والثره الدرع والمعنى لطف منها كذا قال الهروي وقال نحوه
ابن الانباري قال هي القصر وعند الخليل هي السلسلة الملبس وقال
الثعالبي وثابت انها الواسعة ومثله الثلة والرغبة والفضفاضة
معناه وصفته بانه مهفهف الجنوب ضرب اللحم ليس ببطين

ولا

ولا جعظري جواظ وكنت عن ذلك بان مضجعه الذي ينام فيه في الضيق
كمسل شطبة واحدة اذا سلت من الحصير فبقي كانها فارغا بين اخواتها وهو
من يتمادح به رجال العرب وانه مثل غمد السيف. وهو قريب من
الاول. قال ابو سعيد شبهته بسيف مسلول ذي شطب يمان وسيوف
اليمن كلها ذات شطب. قال ابن حبيب عنت انه خفيف المؤنة مهفهف
وقد شبهت العرب الرجال بالسيوف فوجه تشبيهها بذلك اما لخشونة
جانبها ومضائها او جمال رونقها ولالائها او كمال صورتها في اعتدالها
واستوائها كما قال الشاعر. يشبهون سيوفا في صرائمهم. وطول انضية
الاعناق والامم. وقال الاخر. كان جبينه سيف صقيل. وقال الاخر.
في فتية كسيوف الهند. قد علموا ان هالك كل من يحفى وينتعل.
وقال الاعشى. ويصبح كالسيف الصقيل اذا غدا على ظهر انماط له ووساد
وقالت الاعرابية احمد بان اغام كالمهند الصمصام. وكذلك ايضا
شبهوهم بالرماح كما قال. هما رمحان خطيان كانا من السمر المثقفة الصعاد.
وقال الاخر. مصاليت امثال الردينية السمر. ثم وصفته بقلة الاكل
والشرب وهما مما يتمادح به ايضا كما تقدم ثم وصفته بانه صاحب
حرب وشكة وجلاد في موضع القتال وغريب قولها في ابنته
صفر ردائها فالصفر الخالي الفارغ ووقع لها غيظ جارتها اي ضرتها ويحتمل
ان يكون الجارة بالسكنى فالضرة انما سميت جارة لمجاورتها ضرتها
ويسمى الزوجة جارة ايضا لمجاورتها الزوج. قال الشاعر أيا
جارتا بيني فانك طالقه. وعقر جارتها في رواية من رواه فكذا خرجه
مسلم في صحيحه عن الحسن بن علي الحلواني اي دهش جارتها قال
صاحب كتاب الجمهرة عقر فلان عقرا اذا خرج من فزع قال صاحب كتاب
العين عقر الرجل اذا دهش. وقد قال اهل المعاني. وتنفست كتنفس
الظبي العقير انه الدهش وقد يكون ايضا من العقر الذي هو القتل
من قولهم عقر الرجل ابله اي نحرها ومنه كلب عقور وفرس عقير و
صيد عقير واصله من عقر النخل وهو قطع راسها فيهلك ويكون
هذا المعنى الرواية الاخرى حين جارتها وهي رواية شيخنا القاضي التميمي

في بعض طرق النسائي وكذلك قيده بخطه علي ابي علي الحافظ فالحَيْن
الهلاك اي ويكون من العقر الذي هو الجرح كما قال الخليل العقر الجرح
ومنه قولهم سرج معقر اذا كان يعقر ظهر الدابة اي يجرحه ومن معنى
ما تقدم في قولهم كلب عقور اي يجرح وصيد عقير اي مجروح ومن رواه
غير جارتها حكى ذلك الهروي • والانباري • وهي رواية الهيثم بن عدي
فمن العبرة التي هي البكاء او العبرة التي هي الاعتبار اي ان ضرتها
تبكي حسدا لما تراه منها من خَلق او خُلق او تعتبر من ذلك قال
ابن الانباري معناه ان ضرتها ترى منها ما يعبر عينها اي يبكيها
قال وفيه معنى اخر انها ترى من عفتها ما يعتبر به ومن رواه غير
جارتها وكذا رويناه في بعض الاحاديث المشهورة عن ابي بكر محمد
بن الله الفقيه من رواية ابي سلمة المنقري فهو من الغيرة قال
الخليل غار الرجل غارة وغيرا فهو غيران وكان الهاء حذفت والدلة
في الالف با وقد حكى غير الغير والغير والغار بمعنى والغير ايضا مصدر
غار اهله اي مارهم قاله ابن دريد ومن رواه حيرى من الحيرة كذا وقع
في كتاب السماع عند بعضهم واراه هكذا عند ابن الاحمر الغرشي
قال صاحب العين حار بصره يحار حيرا وحيرة اذا نظر الى الشيء فعشي
وتحير واستحار اذا لم يهتد لسبيله فهو حيران وهذه الالفاظ كلها
بمعنى متقارب من الرواية المشهورة اعني غيظ جارتها ومن رواه حيرى بالبا
وكذا وجدته في بعض الاصول ولم اره فان صح فهو من معنى قولها
قبل طلوع ابنها وامها وحبير جارتها اي مسرة مجاورتها او لا تكون
الجارة هنا الضرة لكون المجاورة في المحل والمنزل فهي مسرورة بما تراه
من جمالها وعفتها او بما تفعله من احسانها ونعمتها والحبرة السرور
ومنه قوله تعالى في روضة يحبرون والحبر والحبار الاثر ومنه
سمي السرور لان اثره تظهر في وجه اخيه معناه وصفتها
بانها ممتلية الجسم كثيرة اللحم وعبرت عن ذلك بامتلا كسائها
لانها لا تملى الا لعظم جسمها وكمال شخصها وكثرة لحمها ونعمة
جسمها وهذا مما يمدح به النساء ويذم من بعضه قال امرؤ القيس

وبيت

31

وبيت عذارى يوم دجن ولجته يطفن بجما المرافق مكسال نساط
البنان والعرانين والقنى لطاف الخصور في تمام واكمال • وقال عنتره •
ومخلة باللحم من دون ثوبها تطول القصار والطوال تطولها وقال
الحرماني في صفته • لا تتعب المرء منها حين تحملها من دون اثوابها •
عرض ولا طول كانها مستحب شكت من شرب او طاير بنات الماء مهزول
وقال الاخر في كل عضو لها اوفى يصكك به جنبا لضجيع فيضحي واهي
الجسد • وفي المثل لو فتل للشحم ابن تذهب لقال اصلح العوج و
عابوا ما خرج منه عن الحد المستحسن فعابوا العضاحنه والمعاضنة و
العضاج والعضنكة والجانب ومدحوا المبتلة والخدلجة والرهرهة
والعبهرة والدرما واللفا وعابوا الذميمة • والقصيرة ومدحوا
الطويلة والعطبول والفارعة والخرعبة والممشوقة والمهفهفة
قال الشاعر طويلة خوط المتن عند قيامها ولي بطويل ان المتون
ولوع قال الاخر • وانت التي حببت كل قصيرة الي وما تدري بذاك
القصاير ردت قصيرات الحجال والمراد وقصار الخطا شر النسا
البحاتر • وقال عروة بن الزبير ما عشقت من امراة قط الا شرفها
قبل طولها وقيل حسبها ثم وصفتها بعظم الردف ودقة ما تحت الصدور
وحسن بنية الكتفين وضمور البطن واندماج الحضر بقولها صفر
ردائها اي ان رداها كالفارغ الخالي منها اذ لا يمس من جسمها شيا من
دفها وكتفاها يمنع مسه من خلفها شيا من جسمها وثدياها يمنعه
ان يمس شيا من مقدمها وقد قال الاخر • ابت الروادف والثدي
لقمصها مس البطون وان تمس ظهورا • واذا الرياح مع العشي تناوحت
نبهن حاسدة وهمن غيورا وذهب الهروي الى ان معنى قولها صفر
ردائها اي انها ضامرة البطن والمراد ينتهي الى البطن وقال ابو الحسن بن ابي
معشر النحوي صفر ردائها يصفها بانها خفيفة موضع الردا وهي اعلا بدنها
وملء كسائها تعنى انها ممتلئة موضع الازار وهو اسفل بدنها ونحوه
لابن ابي ويس وهذا كما قال الاخر • نساهم نعم باها فمن الدرع راده وفي
المرط لغاوان ردفها عبل وكما قال ابن الطثرية عقيلية اما ملاث ازارها

وتعض واما خمرها فتبيل ويؤيد هذا المعنى ما وقع في بعض
الروايات ملء ازارها في موضع كسائها فجاء مطابقا للبيتين فان الازار
هو ما تتزر به والمرط كساء من صوف مربع كان النساء يأتزرن به وقد
يكون من غير الصوف وقال ابن دريد المرط ملحفة يؤتزر بها فاستبان
من هذا ان الازار والكساء معنى المرط في البيت ثم اكدت الشاعرة بانها خير
نسائها اي نساء قومها اي قومها وانها لتمام حسنها وتشابه خلقها في الكمال
وخلقها غيظ جارتها اي ضرتها او مجاورتها وان ما تراه من ذلك يغيظها او تغار له
وتغار منه وتعتبر حتى لا تهتدي لامرها ولا تستقيم لسبيلها وتكاد
بصرها يعشو اذا نظرت الى جمالها وكمالها اذ ليست كذلك وبعضها ق
يبكيها حسدا لها وعبرة بها فتكون معنى بعضها اما يهلكها حسدا
وبسبب حبها او يجرح لذلك قلبها ويبكيها على ما تقدم من تفسير عقر
ويكون معنى هذه الالفاظ كلها متشابها ان شاء الله تعالى فقهه
في هذا الحديث جواز وصف النساء ومحاسنهن مع النساء والرجال اذا كن
مجهولات فبنت ابي زرع وان كانت منسوبة فهي في حكم المجهولة لبعد وقتها
وخفاء منها او مجهلة عينها واسمها والذي يمنع من ذلك وصف النساء المعينات
بحضرة الرجال وان يذكر من اوصافهن على التفصيل ما لا يجوز للرجال
اسقاط النظر اليها او يوصف عوراتهن وما لا يجوز اطلاع الرجال والنساء
عليه وقال عليه السلام لا تصف احداكن جارتها الى زوجها حتى كانه
يراها وزجر صلى الله عليه وسلم هيت المخنث ويقال ماتع المخنث والقصد
لهيت اشهر ومنعه الدخول على نسائه اذ سمع منه من وصفه لبادية
بنت غيلان الثقفية ما سمع فقال له لقد غلغلت في النظر يا عدو الله
وفي رواية الا ارى هذا يعلم ما ههنا ثم نفاه عن المدينة لذلك الى
الحمى وكراهة النبي صلى الله عليه وسلم لما سمع منه ونهيه عنه لوجوه
احدها ما ذكرناه من وصف ما وصفه من النساء من اجسامهن وعوراتهن
بين النساء والرجال مما لا يجوز الاطلاع عليه والوجه الثاني انكر عليه
غلغلة النظر الى ان وصل معه الى معرفة ذلك مما لا يباح للنساء كشفه للرجال
والثالث انهم كانوا يعدونه من غير اولي الاربة من الرجال الذين يجوز لهم

الاطلاع

الاطلاع على ظواهر محاسن النساء فلما رآه يقصد من اوصاف النساء الى ما
يستحسنه الرجال دل على انه ارب في النساء ومال الى ما يرغبه الرجال
ويميلون اليه. وقولها طوع ابيها وطوع امها اي انها بارة غير خارجة
عن ابيها وهذا يدل على عفتها وعقلها ومن رواه زين فمعناه انه من
لد مثل هذه البنت في كمالها وجمالها تتزين بها او تتجمل قال الله تعالى
المال والبنون زينة الحيوة الدنيا وغريب قولها برود
الظل اي انها حسنة العشرة كريمة الجوار يقال فلان ياوي الى ظل
فلان اذا كان تحت اكرامه وعزه وحمايته كانه استراح اليه استراحة
المستتر للظل والظل يعبر به عن العز حكاه ابن دريد وهذا يؤيد
رواية من رواه خير جارتها فقولها وفي الال اي العهد قاله ابن الانباري
والهروي والال ايضا القرابة قال الله تعالى لا يرقبون في مؤمن الا
ولا ذمة اي قرابة ولا عهدا عند بعضهم وقولها كريم الخل اي الخليل
والصاحب وقد يصفها بشرفها الزوج فهو خليلها وقد يريد بالخل هنا
المخاللة والصحبة قال الحربي يقال فلان كريم الخلة والخل والمخاللة
اي الصحبة غريبة ذكرت برودا وكريما ووفيا والموصوف
به مؤنث لانها ذهبت به مذهب التشبيه اي هي كرجل بهذه
الصفة قاله ابن الانباري وانشد عليه لعروة بن حزام وعفراء عني
المعرض المتواني وفيه وجه اخر على تقدير الحمل له على مذكر محذوف وق
كانها قالت هي شخص او شيء برود الظل وكذا وكذا وقد حمل عليه معنى
بنت عرفه المذكوره معناه وصفها بحسن الصحبة والرعاية
لمن صحبها وجاورها وكرم العشرة معهم وعزهم في جوارها
وانها ذات خل كريم وزوج شريف ان فسر الخل بالخليل وانها
كريمة المخاللة والمعاشرة ان كان الخل عن ذلك وانها وفية لعهود
الزوج والجار وصوله لمن بينها وبينه ذمة او سبب غريب قولها
في جارية ابي زرع لا تبث حديثنا اي لا تنشر ولا تظهره يقال
بثثت فلانا سري اي اظهرته واطلعته عليه واصله النشر قال الله
تعالى كالفراش المبثوث ومن قال تنث بالنون فمعناه تظهر نثاه

نث الحديث قال ابن الاعرابي لسان المغتاب قال ابن الحبيب النث
والبث بمعنى وبعضه ما ورد مفسرا في الحديث الاخر فقولها ولا تخرج
حديثنا وتنثيثا مصدره ومن رواه تفتيشا فمعناه استقصا
على حديثهم ونمايمهم وقولها ولا تنفث ميرتنا تنفيثا قال ابو
عبيد التنفيث الاسراع في السوا لا تذهب به وتخون فيه وهذا
مثل قوله في الرواية الثانية تنقل واصله من قولهم تنقث
العظم اذا استخرجت ما فيه وقال النيسابوري التنفيث اخراج ما في
منزل اهلها الى غيرهم وهما متقاربان وقال ابن حبيب معناه
لا تفسده ولا تفرقه ولا تسرع فيه ولكنه من الاسراع في السير و
التنقيث من الفساد والتفرقة وقال ابن السكيت تنفيثا اي تنقلا
وقال ابن ابي اويس لا تسرق وعلى رواية من قال تغث فمعناه تفسد
وكذلك روي تفسير معناه في الحديث الاخر ومنه حديث ابي بكر ان مما
صح عندي هذا الفتح وعثه على تكاد الحي على التنقيل قال ثابت
اي افسده واصله من العثة وهي السوسة يقال عثت الصوف اذا اكلته
قال الفقيه القاضي رضي الله عنه فعلى هذا ايضا يصح معنى تعث اي تاكل
اكل فساد كما يفعل السوسة وقولها في رواية الزبير تفسد ميرتنا
تفشيشا فمعناه عندي قريب من الاول اي لا تفسد ميرتنا بالنقل والخيانة
والاحتجان والاسراف في اكلها قال الخليل استن العقوره وانقشوا
اذا اختلطوا قال والغشر والافتشاش طلب الاكل قال ابن دريد و
التفشيش مثله قال وفشت ما على الخوان اذا اكلته اجمع قال وقشيت
الشي فشا اذا اجمعته وحكى الثعالبي عن الليث التقش والتقشيش طلب الاكل
من هنا وهنا والميرة ما يمتاره البدوي من الحضر من حب او تمر ودقيق
وغير فمعاني هذه الالفاظ وان اختلفت متقاربة وقولها ولا تملا
بيتنا تعشيشا فمن رواه بالعين المهملة فمعناه انها مصلحة للبيت
مهتبلة بتنظيفه والقا كناسته وابعادها منه وليست ممن تقم
كناسته وسقطه ههنا وههنا وتتركها مجتمعة في اماكن منه كانها
الاعشاش هكذا فسر هذا المعنى بعضهم وقال ابن ابي بشر عن ابيه

ارادن

33

ارادن انها تقم بيتنا ولا تدع فيه القمامة والقشب وكانه عش طاير
في قذره وقشبه وقال الهروي لا تفسد ميرتنا تغشيشا معناه انها
لا تخوننا في طعامنا فتخبا في هذه الرواية شيئا او في هذه شيئا كالطيور اذا
عششت عششة في مواضع شتى وقال الخطابي هو ماخوذ من قولهم
عشش الخبز اذا فسد تريد انها تحسن مراعاة الطعام وتتعاهده ان
نطعم منه اولا فاولا طرفا ولا تغفله فيفسد ومن قال تغشيشا بالغين
المعجمة فهو من الغش قال الهروي هو بمعنى الاول وقال ابن السكيت هو من
النميمة وقولها ولا تنجث اخبارنا تنجيثا اي لا يستخرجه استخراجا
والنجيثة ما يخرج من البير من تراب معناه وصفتها بالامانة
على السر والمال والقيام بمصالح خدمتهم والنصح لهم وانها لا تفشي
لهم حديثا ولا تبذر لهم طعاما ولا تخون فيه ولا تنقله الى غيرهم
ولا تفسدهم وتضيعه ولا تدخل بينهم الضغاين ولا تهمل امر خدمتهم
وصلاح منزلهم وغريب قولها في ضيف بني زرع في ريغ وري
اي تنعم قال الله تعالى نرتع ونلعب واكثر المفسرين ترجع الى التنعم
والمسرة وقولها طهاة بني زرع اي طباخوه وقال امرو القيس.
فظل طهاة اللحم من بين منضج. وقولها لا تفتر اي لا تسكن ولا
تضعف في خدمتها والفتور السكون والفتور الضعف. وقولها
ولا تعدي اي لا تنصرف قال ابن الانباري يقال عداه عن الشي يعدوه
اذا صرفه قال ابن دريد ويقال العدا والشغل يعدوك عن الشي
وقولها تقدح اي تغرف والمقدحة المغرفة قاله الهروي وغيره و
تنصب ترفع على النار قاله ابن دريد نصب القوم السير اذا رفعوه
وكل شي رفعته فقد نصبته والمنصب شي من حديد ينصب عليه القدر
وقد يكون النصب من التعب من قولهم عيش ناصب ومنصب اي كد وتعب
وقولها في مالها على الجمم معكوس الجمم جمع جمة وهم القوم يسلون
في قاله ابن الانباري وانشد تضرب في الهيجا وتعطي في الجمم ومعكوس
معناه اي مردود معطوف والعفاه السائلون ومحبوس موقوف عليهم
وصفت بوسعته على ضيفانه في الماكول والمشروب واكرامهم بما يطرا ليمرد

وليهبهم ويبرهم وانه جواد كريم لا ينقطع اطعامه ولا تغيب قدوره
ولا تستريح طهاته وان ما له محبوس على السؤال والطالبين
موقوف على مبتغي الرفد وذي صدى السبيل مردود عليهم وغريب
قولها والاوطاب تمخض الاوطاب مختص باسقية اللبن وتسمية
غيرها اوعية اللبن بها على ضرب من المجاز والمشابهة واحدها وطب وجمعه
المعروف وطاب في الكثرة واوطب في القلة وقد جمعوا اوطبا على اطب
واما اوطاب فنادر. تنبيه ذكر ابو سعيد النيسابوري ان جمع
وطب على اوطاب في هذا الحديث منكر في العربية لان فعلا لا يجمع على
افعال قال الفقيه القاضي رضي الله عنه لم يقل ابو سعيد شيئا اما انكاره
ان يجمع وطب على اوطاب في العربية فهذه عربية صحيحة منقولة
عن افصح العرب وباصح الطرق فحكاها صلى الله عليه وسلم وحكتها
عائشة بحضرته ورواها فصحاء التابعين ولا يحكون لحنا وذكروها
عن عرب عاربة وجاهلية بائدة فلو لم يكن لها حجة وبينا وجدنا مثل
هذه الطرق في اكثر اللغة ولا يقال في مثل هذا منكر ولا خطأ ولكنه
يقال نادر وكيف وايمة هذا الشان يحكون عنه. قال الخليل جمع
الوطب وطاب واوطاب وحكى مثله ابن دريد في الجمهرة واما قوله
ان فعلا لا يجمع على افعال فغير مسلم فقد جمع فعل على افعال في حروف
معلومة قالوا زند وازناد وفرخ وافراخ وفرد وافراد وجد واجداد وانف واناف وربع و
ارباع وراد وارواد حكاها سيبويه قال وقد يجيء فعل فعالا مكان
افعل كما قال الشاعر. وزند كانقب ازنادها قال سيبويه وليس
ذا الباب في كلام العرب يعني انه ليس بالمطرد ومثله. واما مست على انافها
عشرا بها قال والقياس في فعل افعل في القليل وفي الكثير فعالا وفعول
وما سوى ذلك فلا تعلم الا بالسمع وحكى الفراء احلاق جمع حلق. وفي
الحديث الصحيح على انقاب المدينة ملائكة جمع نقب واما ما كان عينه
ياء او واوا فان باب فعل جمعه في القليل افعال نحو اشواط وانياب وانواع
واقواس والواح وابيات. واقياد. واشياخ واعياد واعيان وهو
باب مطرد كثير مستعمل معروف في المعتل وهو في الصحيح نادر وقد قالوا

اهل

اهل واهال وارض واراض ومثله اجفان واشكال وحكى بعضهم حمل واحمال
وحبر واحبار وقد يقال ان افعالا ههنا محمول على فعل فقد قالوا حبر
ايضا وقالوا حمل كما حملوا اشعارا وانهارا على فعل نحو شعر. ونهر فلا ينكر ما جاء
على هذا اذا سمع كما قال سيبويه رحمه الله وقد رايت في بعض روايات
هذا الحديث في اصل قديم من كتاب النسائي رواية حمزة الحافظ والاوطاب
تمخض مشكول الواو مصلحا فان صحت هذه الرواية ولم تكن وهما واسقاطا
فهي على الاصل وجمع وطاب ثم ابدل الواو همزة كما قالوا اشاح ووشاح
ووعاء واعاء ووكاف واكاف ووقت واقت ووساده واساده والله اعلم ووقع
في رواية يعقوب ابن السكيت في زيادة غير سنه رفعنا في بعض نسخ
الالفاظ على الاصل خط يشابه هذه الزيادة شيخنا ابن عبد الله بن سليمان
النحوي عن خاله ابي محمد غانم بن وليد وفي اصله قرات ومنه نقلت عن
ابي عمر الشيباني بسنده الى يعقوب معناه فقلتها اخرج ابو زرع
والاوطاب تمخض يحتمل انها ارادت تبكير خروجه من منزلها وغدوه
لذلك لانه وقت قيام الخدم والعبيد لاشغالهم ومهنهم وانطوى
اثناء ذلك كثرة خير داره وغزر لبنه وان عندهم منه ما يشربون صريحا
ومخيضا ويفضل عن حاجتهم حتى يمخضوه في الاوطاب ويستخرجوا
زبدته وسمنه كما قالت. لن تنقلني الى اهل صاهل وحامل ومنق ودايس
ومن هذا حديث الحجاج وقد سال وافدا عليه عن الغيث فقال لم كانت
سماؤكم ورآها وسمعت الرواية عن الحد بادتها وسمعت قائلا
يقول هلم اظعنكم الى محلة تطفى فيها النيران وتشتكي فيها النساء
وتنافس المعزى قال فلم يفهم الحجاج مراده فاعيل عليه وقيل له انما
تخاطب اهل الشام فافهمهم فقال اما تطفى النيران فاخصب الناس وكثر
الزبد والسمن واللبن فلا يستعينوا عن النار للخبز واما تشتكي النساء
فان المراة تربق بهمها وتمخض لبنها فتبيت ولها انين من عضديها
في حديث طويل ويحتمل ان تريد انه خرج في استقبال الربيع وطيبه
وربيعه ووقت تمخض الناس وان خروجه اما للسفر او غيره كان في هذا
الزمن وتكون الفائدة في الاحتمال الاول تعريفها بخروجه عنها بكرة من ليلتها

وفي الاحتمال الثاني اعلامها بوقت خروجه عنها من فصول الزمان وقولها
معها ولدان كالفهدين وفي رواية كالصقرين وصفت ولديها بالفهدين
او صقرين لاسر خلقهما واكتناز اجسامهما واحتاجت الى ذكرهما هنا
والله اعلم لتنبيه ان ذلك كان احد اسباب تزوج ابي زرع لها لان
العرب كانت ترغب في الاولاد وتحرص على النسل وكثرة العدد وتستعد
لذلك بالنساء المنجبات في الخلق والخلق ويحتمل ان ابا زرع لما راى هذه
المراة والمجبة خلقها ووالداها لكمال خلقهما وظهور مخايل النجابة فيهما
حرص عليها وقال اسمعيل بن ابي اويس كالفهدين سارين حسنين
نفيسين . ومن رواه اخوها خالد فالمشهور والاصح والاكثر من الروايات
فان حمل على ظاهره كان امدح لها وادل على صغر سنها وتوددهما
كما قال الهذلي لها كبنيه عمرو وليس لها عمرو وتؤيده قوله في رواية
عند فمر بجارية شابة . وقد يتاول فيجمع بينه وبين رواية
من روا ابنها ولداها ان يجعلا اخوين لها في حسن الصورة وكمال
الخلقة . وقولها يلعبان من تحت خصرها برمانتين ذهب بعضهم
الى انه اراد ثدييها . ورد هذا ابو عبيد قال وليس هذا موضعه وانما
اراد انها ذات كفل عظيم فاذا استلقت نتا الكفل بها عن الارض حتى تصير
تحتها فجوة تجري فيها الرمان وتؤيد تاويل ابي عبيد ما ورد في احدى
الروايات المتقدمة يرمي من تحت خصرها الرمانتين ولا يقال في الثديين
يرميان ويعضده ايضا ما وقع مفسرا في حديث ابي معاوية عن
هشام الذي قدمناه وفق له فمر بجارية يلعب معها اخواها
وهي مستلقية على قفاها واخوها معهما رمانة يلعبان بها يرميان
من تحتها فتخرج من الجانب الاخر من عظم اليتها فسر الامر كما نراه فان
سلمت هذه الرواية من علة ارتفع الاحتمال على ان هذا الكلام بعيد من
منهم لفظ كلام ام زرع وتعضيدا للتاويل الاخر في له في الرواية الاخرى
يلعبان من تحتها ومن تحت صدرها وفي له في رواية عنه يلعب
من تحت درعها برمانتين ولان العادة لم تجر بلعب الصبيان ورميهم
بالرمان تحت اصلاب امهاتهم وكيف تجلس هذه المراة لهم ويستلقي

حتى

حتى يشاهد منها الرجال هذا ومنهم وايضا فان حمل الرمانتين ولان العادة
بالالف واللام عليهما ووقع في بعض الروايات على رمانتين من الرمان
لا يحسن في العربية لان رمانتين من الرمان معهودتين نكرتان ولا يصح
ان يدخل فيهما الالف واللام ولا يصح ان يريد رمانتين من الرمان معهودتين
والاشبه ان يكون المراد بهما النهدين ويكون قوله يلعبان من تحت خصرها
او صدرها اي ان ذلك مكان الولدين لا مكان الرمانتين وان ولديها كانا
في حضنيها او حفافي جنبيها وتشبيه النهدين بالرمانتين يدل على
نهودهما وكعوبهما وذلك لصغرها وفتاء سنها وانها لم تلد من لم تنس
وتترهل ويثقل فينكسر ثدياها وتتدلى وليس تشبيههما
حينئذ بالرمان وذهب الداودي ان معنى هذا اي يرميان تحتها
اذا رقدت على جنبها لرقة خصرها والكلام فيه على ما تقدم وقولها
وكلها بل اعود فهذا مثل ومعناه ان البدل للشي لا يقوم مقام
المبدل منه وانه دونه وانزل منه ، وقولها اعور اي معيب رديء
وليس من عور العين حكى ثعلب الاعور الرديء قال والعرب تقول للردي
من كل شي اعور والانثى عوراء ومنه قالوا كلمة عوراء اي قبيحة
قال الشاعر اذا اقتلت العوراء اغضى كانه ذليل بلا ذل ولو شاء
نصر وكما قال الكميت ولا استعذب العوراء يوما فقالها واخبرت
ان هذا البدل لم يسد مسد ابي زرع كما فسرته بعد هذا والسري
بالسين المهملة الرجل السيد والسرو الحرية قال الحربي
في تفسيره سخيا والسري من كل شي خياره وحكيا بالشين المعجمة ايضا وهو
الجمع سراة وشراة حكاهما يعقوب وحكى لنا شيخنا ابو الحسين بن سراج
رحمه الله تعالى عن ابي علي القالي ان الشراة بالشين المعجمة ايضا الردي
فهو من الاضداد والشري بالشين المعجمة الفرس الذي يستشري في
سيره اي يلج ويمضي بلا فتور ولا انكسار قالت بات شرى البعير
في سيره اذا اسرع ومنه شرى البرق اذا كثر لمعانه وشرا الامر اذا ترامى
وتفاقم وقال غيره معناه جاد السير فرس شري خيار فائق وروى
اعوجيا فهو منسوب الى فرس اسمه اعوج من الخيل المشهورة

تنسب العرب اليها جياد الخيل وهما فرسان احدهما فرس كان لكندة
ثم لبني سليم ثم لبني هلال ابن عامر قال ابن خالويه وكان لبعض الملوك
يعني من كندة فغزا بني سليم فقتلوه واخذوا فرسه وقال ابو العباس المبرد
اعوج فرس لغني وقيل لبني كلاب وقيل سمي اعوج لانه ركب صغيرا وطيا
قبل ان تشتد عظامه فاعوجت قوائمه وقيل بل اعوج ظهره وامه
سبل فرس كانت لغني مشهورة ايضا وهذا هو الاعوج الاصغر واما اعوج
الاكبر فمشهور ايضا وهو لكندة فرس اسمه اذا الهجوس والهجرس ولد
فرس اسمه الدينار والديسار ولد زاد الراكب فرس لسليمان بن داود عليه
السلام من بقية الخيل التي خرجت له من البحر وكان اعطاه لقوم وفدوا
عليه من اجرهم وقال لهم تصيدوا واعلموا هذا الفرس ما شئتم فكان لا يتعذر
شي فسمي زاد الراكب قال ابن خالويه واليه ينسب كل الافراس المشهورة
ذكر لنا ذلك كله الاستاذ ابو عبد الله بن سليمان وبعض عن غيره وذكر
منه ابن لهيعة الحباري في كتاب الجلائب والجلاييب . والخطي الرمح
نسب الى الخط وهو موضع من ناحية البحرين ياتي الرماح اليها من الهند
ثم تفرق من الخط الى بلاد العرب فينسب اليه ولا يصح قول من قال
ان هذا ينبت الرماح وقيل ان سفينة في الزمان الاول مملوءة رماحا
قذفها البحر الى هذه الناحية فخرجت رماحها فنسب اليها وقيل الخط
الساحل وقيل كل ساحل خط حكاه صاحب الجمهرة عن بعض اللغويين
قال والخط سيف البحرين وعمان واراح من الرواح ومعناه اتى بها
المراح وهو موضع مبيت الماشية وليلا اسماها بعد المجد وقال ابن ابي
اويس نعما يعني ابلا فاتى بنعم كثيرة والنعم الابل خاصة جمع لا واحد له
من لفظه وذكر بعضهم انه ينطق وقيل ان النعم والانعام بمعنى واحد
والنعم يذكر ويؤنث وقال تعالى ومن الانعام حمولة وفرشا ثم قال
ثمانية ازواج فذكر انواع الماشية ووقع في بعض الروايات نعما جمع نعم
والاشهر نعما بالفتح والثرى الكثير من كل شيء يقال اثرى بنو فلان بني
فلان اي صاروا اكثر منهم ويقال اثرى الرجل اذا كثر ماله وقوله
ميري اي صليهم بالميرة وهي الطعام واصله من امتيار البوادي من الحواضر

عربية قوله نعما او نعما ثريا والنعم يؤنث وجاء بثري الذي هو
وصف المذكر ولم يات فيه بعلامة تانيث فيقول ثرية وكذلك يلزم
على القول بتانيث النعم ولكن وجهه ان كل ما ليس بحقيقي التانيث
فلك وجهان في اظهار علامة تانيثه في الفعل واسم الفاعل والصفة
او تركها وكذلك في جموع من المذكر والمؤنث الحقيقي كما قال تعالى وقال
نسوة وقالت الاعراب وقال رجالا كثيرا واعجاز نخل منقعر وقال الشاعر
طويلا سواريه شديدا دعائمه وقال لئيم ماثره قعدد . كما لو قال
كثيرة ومنقعرة وطويلة وشديدة ولئيمة الوجهان جائزان واما على
رواية النعم والقول بانها مذكر فهو الوجه فلا يحتاج فيه الى كلام
معناه وصفت هذا الرجل الذي تزوجته بالسودد في ذاته والشجاعة
في ذاته وانه صاحب حرب وركوب وبالاحسان اليها والتفضل على اهلها
ثم اخبرت انه مع هذا كله لم يقع عندها موقع ابي زرع وان كثيره
دون قليل ابي زرع وكيف بكثيره وان حال هذا الاخر عندها معنت
اذا اضافته الى حال ابي زرع مع اساءة ابي زرع لها اخيرا في تطليقها
والاستبدال بها ولكن حبها له بعض ابهها الكاس بعله وكما قال اكرم
اولوا الراي تزويج امراة لها زوج طلقها لميل نفسها اليه وقالوا لا
تتزوج حنانة ولا انانة ولا منانة فالحنانة وجهان احدهما
التي لها زوج وهي التي تحن اليه والثاني لولد ممن قبلك فهي ايضا كثيرة
الحنين مشتغلة به عنك . والانانة الكثيرة الامراض فهي تان ابدا فلا
يصفو عيشك معها لذلك . والمنانة التي لها مال تمن عليك به وقولها
واعطاني من رايحة زوجا وروى واتاني من كل سائمة زوجا واتاني واعطاني
بمعنى واحد والسائمة الراعية والرايحة اصله الابل وقت الرواح وهذا
اخر النهار . ومنه سمي المراح وهو موضع مبيتها والرواح ضد الغدو
وفي الحديث لغدوة في سبيل الله او روحة ومنه كالطير تغدو خماصا وتروح
بطانا وقد وجد للعرب استعمالا لمدى النهار كله حكاه الهروي وغيره وعليه
حمل الشافعي وغيره حديث رواح الجمعة ويقال تروح القوم وراحوا اذا
ساروا اي وقت كان ومن رواه واراح علي من كل رايحة زوجين ومن كل

ابدا اشيق فالابدة المتوحشة والجمع اوابد يقال ابدت تابد ابودا اذا توحشت
منه كلمة ابدة ورماه بابدة اي بكلمة غريبة لم يعهد مثلها والاوابد الوحش
قال امرؤ القيس • قيد الاوابد هيكل • وقد شبه بها الابل المؤبلة
والنعم المهملة **عربية** ومن رواه من كل ذي رائحة فغلط فيه لان ذا
صباح وذا انما كانه دعم للكلام وصلة له والاصل في اصلها الا يضاف
الا الى الاجناس كقولك ذو مال وذو علم ولا يضاف الى الصفات فيقال
ذو عالم ولا ذو عاقل لانه يكتفي بذكر الصفة عنها بخلاف الجنس الذي
لا تصف به اذا اردت الوصف الا بذي او بتعرف اسم صفته منه فادخلت
ذي ليتوصل بها الى الوصف بالاجناس ولاجل ذلك لم تضف الى صفة مشتقة
وانما تضاف الى ظاهر غير صفة ولا اعلم لهذه القصة مثلا في كلام العرب •
معناه اراد نعتها هنا كثرة ما اعطاها من جميع ما يروح
الى منزلها من ابل وبقر وغنم وعبيد ودواب وانه اعطاها اصنافا من ذلك
ولم يقتصر على العدد في ذلك حتى ثناه وضاعف احسانا اليها وتكرما عليها
وانه صاحب صيد وقنص يروح بها مثنى ويصيبها الى ما اكتسب
واثنين والزوج يقع على الواحد ويقع على الاثنين ولذلك قالوا زوجان
ولكن لا يقع على الواحد الا اذا كان معه اخر قاله الهروي قال ابن دريد
الاثنان زوج وزوجان والزوج النصف ومنه قوله تعالى او يزوجهم
ذكرانا واناثا وكنتم ازواجا ثلاثة اي اصنافا وانكر ابن الانباري ان يسمى
الاثنان زوجا وانما يقال لهما زوجان وقول النبي صلى الله عليه وسلم •
كنت لك كابي زرع لام زرع تطييبا لنفسها ومبالغة في حسن معاشرتها
لما ذكرته ام زرع من حسن صحبته لها وشكرها من جميع حاله معها
ثم استثنى من ذلك الامر المكروه منه لقوله انه طلقها واني لا اطلقك
تتميما لتطييب نفسها واكمالا لطمانينة قلبها للابهام لعمومه
التشبيه بجملة احوال ابي زرع اذ لم يكن فيه ما تذم سوى طلاقه لها ومثله
فقد جاء في الرواية الاخرى في الالفة والرفاء لا في الفرقة والخلاء اي في الاتفاق
لا في الافتراق لان الرفاء هو من باب الالفة والاتفاق والخلاء من باب
الفرقة والطلاق قال ابو عبيد يكون الرفاء بمعنيين يكون من الاتفاق

وحسن

وحسن الاجتماع ومنه رفو الثوب لانه يضم بعضه الى بعض ويكون
الرفاء من الهدو والسكون وقال ابو زيد الرفاء الموافقة وقيل الرفاء
المال حكاه المفضل عن اليمامي في منتخبه وقيل الرفاء السرور وقال
ابن الانباري الخلاء المباعدة والمجانبة وكانه ماخوذ من خلاء الابل
وهو كالحران للدواب ومنه حديث النبي صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية
ما خلات القصوا سما وقد ورد في رواية ابي معوية الضرير ما دل على
ان الطلاق لم يكن من قبل ابي زرع واختياره فانه قال فلم يزل بها ابو زرع
حتى طلقها وقول عائشة بابي انت وامي هل انت خير لي من ابي زرع جواب
منها في فضلها وعلمها فان النبي صلى الله عليه وسلم لما اخبرها انه
لها كابي زرع لام زرع لفرط محبة ام زرع له واحسانه لها اخبرته
هي انه عندها افضل وهو لها احب من ام زرع لابي زرع **عربية**
وقوله صلى الله عليه وسلم كنت لك كابي زرع لام زرع اي انا لك كابي زرع
لام زرع كما قال بعضهم في قوله تعالى كنتم خير امة اي انتم وكان
زائدة قالوا ومثله قوله تعالى كيف نكلم من كان في المهد اي هو في المهد وقوله وما
جعلنا القبلة التي كنت عليها اي انت عليها وصدقت ام كنت من الكاذبين
وفي بعض هذا اختلاف قالوا ومنه قوله في الحديث كن ابا ذر وقد
يحتمل عندي غير هذا مما قالوا وانشدوا • وجيران لنا كانوا كرام •
وقد يصح ان تكون كنت ههنا على بابها في النقص والاستعمال وافادة
زمان محصل اي كنت لك في سابق علم الله وقضائه كابي زرع لام زرع
في احسانه لها ومحبته اياها فتتوجه فيها ايضا وجه ثالث وهو ان تكون
على بابها ثم يراد بها الاتصال اي كنت لك فيما مضى من صحبتي لك وعشرتي
اياك كابي زرع وانا كذلك لا ابتدا لعقده كما في قول مرة بن محكان
السعدي • انا ابن محكان اخوالي بنو مطر انمي اليهم وكانوا معشرا نجبا •
اي كان من مضى منهم نجيبا ومن بقي كذلك وفي الكتاب العزيز وكان الله
سميعا بصيرا وان الله كان عليما غفورا في امثلة كثيرة وهو تعالى كان
في الازل كذلك وكذلك هو جل اسمه وعليه حمل بعضهم قوله كنتم خير
امة ومن كان في المهد صبيا **فقه** قال المهلب بن ابي صفرة الفقيه فيه من

الفقه جواز التاسي باهل الاحسان من كل امة الا ترى ان ام زرع
اخبرت عن ابي زرع بجميل عشيرته فاستدله النبي صلى الله عليه وسلم
قال الفقيه القاضي ابو الفضل رضي الله عنه وهذا عندي غير مسلم
لانا لا نقول ان النبي صلى الله عليه وسلم اقتدى بابي زرع بل اخبر
انه لها كابي زرع وانما اعلم ان حاله معها مثل حاله لا لكن لا على التاسي
به . واما قوله بجواز التاسي باهل الاحسان من كل امة فصحيح
ما لم تصادمه الشريعة وفيه من الفقه جواز قول المراة لصاحبه
بابي انت وامي وقد كان ابي وامي وهما بمعنى واحد وقد قاله النبي
صلى الله عليه وسلم لسعد رحمه الله والزبير وغيرهما وهو
من معروف كلام العرب وقاله ابو بكر وغيره للنبي صلى الله عليه وسلم
وكذلك قولهم جعلت فداك ونفسي فداؤك وقاله ابو طلحة وابو
ذر ورافع ابن خديج للنبي صلى الله عليه وسلم وفي شعر حسان
فان ابي ووالده وعرضي لعرض محمد منكم فداء ومنه الدعا على من نعم
قول هذا وما يحكى من انكاره عن الحسن ومن قال لا يقال له وانه
لا يفدى احد بمسلم فان النبي صلى الله عليه وسلم وما روي من كراهة
عمر لقول القائل له جعلني الله فداك وكراهة النبي صلى الله عليه
وسلم مثل ذلك من الزبير من قوله جعلني الله فداك يا رسول الله
وقوله ما تركت اعرابيتك بعد وقد ضعف الطبري هذه الاثار وهكذا
ترجم ابو عبد الرحمن النسائي على هذا الحديث وخرج في الباب حديث
ابن عمر لا ينظر الله الى امراة لا تشكر لزوجها الا ترى ام زرع كيف شكرت
فعل زوجها ثم نظر عائشة بعد كيف شكر بعد للنبي صلى الله عليه وسلم
واعترفت بانه خير لها من ابي زرع لام زرع وفيه من الفقه
تعريف الرجل وخبره بما فيه اذا علم ان ذلك غير مفسد له ولا معجب
نفسه والنبي صلى الله عليه وسلم مظنة كل مدح ومستحق كل ثنا
وان من اثني عليه بما اثنى فهو فوق ذلك وقد ورد في الاثار ان النبي
صلى الله عليه وسلم كان لا يقبل الثنا الا من مكافي قال العتبي معناه
الا ان يكون ممن انعم عليه صلى الله عليه وسلم فيكافيه الاخر بالثنا

قولا لكان بها ان صحت
ذلك قال هو وغيره
منه شكر المراة احسان زوجها

وردّ

ورد هذا ابن الانباري وقال هذا غلط لا ينفك احد من انعام رسول
الله صلى الله عليه وسلم لان الله تعالى بعثه للناس كافة
وهداهم ورحمهم به فكلهم تحت نعمته والثنا عليه فرض لا يتم
الاسلام الا به وانما المعنى لا يقبل الثنا الا من رجل عرف حقيقة
اسلامه ممن لا يلتبس بنفاق وقيل الا من مكافي مقارب في مدحه غير مفرط
فيه كما قال صلى الله عليه وسلم لا تطروني كما اطرت النصارى
عيسى عليه السلام وفيه من الفقه جواز ترفيه المتزوج بلفظ
الرفا على ما كانت عادة العرب لقوله كنت لك كابي زرع في الالفة والرفا
فيستفاد من هذا اللفظ ان لم يصح عنه النهي جواز قوله للمتزوج
لانه اذا قاله احد الزوجين لصاحبه فما يمنع ان يقوله الاجنبي
لاحدهما وقد اختلف العلماء في هذا فروي جوازه وقال عبد الملك
ابن حبيب واستحبوا تهنية الناكح والدعا له وكان مما يقال بالرفا
والبنين بارك الله لك ولا باس بالزيادة على هذا من ذكر السعادة
وما احب من خير وحكي عن شريح انه قال للمتزوج بالرفاء والبنين
وكره هذا اخرون فروي عن عقيل بن ابي طالب انه تزوج امراة فقالوا له
بالرفا والبنين فقال قولوا كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
بارك الله لكم وبارك فيكم ذكره النسائي وفي رواية عليكم مكان فيكم وقد
روي عن النبي صلى الله عليه وسلم النهي ان يقال للمتزوج بالرفا والبنين
حدثنا القاضي ابو عبد الله التميمي وغيره قالوا نا العذري قال نا ابن سراج
نا ابو القاسم الزهري نا ابو بكر بن عائذ قال انا احمد بن خلد نا
علي بن عبد العزيز قال نا ابو عبيد القسم بن سلام نا هشيم نا القاسم عن
شيخ سماه عن الحسن عن عقيل بن ابي طالب عن النبي صلى الله عليه وسلم
واختلف في توجيهه فحكى المفضل بن سلمة في كتابه الفاخر فيه وجهين
احدهما ان ذلك كان لان العرب كانت تعتقده تقوله اذا كان جمعا لا فرق
فيه وهذا ليس كذلك والثاني انه كلام ليس فيه ذكر الله والله اعلم
وذكر هذا الحديث الطبري والخطابي قال الطبري الا ان الحسن راوي
حديث عقيل بن ابي طالب لم يسمع منه وقد حدث به عنه فلم يرفعه

الى النبي صلى الله عليه وسلم قال الطبري والذي اختاره ما صحت به
الرواية عنه صلى الله عليه وسلم انه اذا رفا الرجل اذا تزوج قال
بارك الله لكم وبارك عليكم قال والزيادة غير محفوظة وقد ذكر
ابو داود والترمذي هذا الحديث من طريق ابي هريرة وزاد فيه وجمع
بينكما في خير اناه هشام بن احمد الفقيه رحمه الله قراءة عليه قال نا
ابو علي الحافظ قال نا ابو عمر بن عبد البر قال نا ابو محمد بن عبد المومن
قال نا ابو بكر بن داسة قال نا ابو داود قال نا عبد العزيز بن محمد عن
سهيل عن ابيه عن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم الحديث وترجم
البخاري كيف يدعا للمتزوج وادخل حديث عبد الرحمن بن عوف وقول
النبي صلى الله عليه وسلم وقد راى عليه اثر صفرة ما هذا قال اني تزوجت
امراة قال بارك الله لك اولم ولو بشاة وقد روي عن معاذ بن جبل شهد
النبي صلى الله عليه وسلم املاك رجل من الانصار فقال على الالفة والخير
والطير الميمون والسعة في الرزق وبارك الله لكم وفيه من الفقه جواز
المزح في الاحايين واباحة المداعبة مع الاهل وبسط الوجه واللسان
مع جميع الناس بالكلام الحلو السهل فهو من حسن العشرة وطيب النفس وقد
كان صلى الله عليه وسلم يمزح ولا يقول الا حقا وروي عنه ابو هريرة قال
قالوا يا رسول الله صلى الله عليه وسلم انك تداعبنا قال اني لا اقول الا حقا وقد رويت
عنه احاديث مشهورة في ممازحته بلالا وابا عمير وخوات وزاهر وانسا
وعائشة وغيرهم • وقال للعجوز ان الجنة لا يدخلها العجز • وقال لامراة
سالته عن زوجها اهو الذي بعينيه بياض وقال لاخر لاحملنك على ابن
الناقة • وقال لجابر فهلا بكرا تداعبها وتداعبك ويروى تلاعبها وتلاعبك
في اخبار معروفة كلها دالة على تواضعه وانبساطه للناس وتحببه وقد روى
القسم بن سلام فيما حدثنا به جماعة من شيوخنا باسنادهم عن عكرمة يرفعه
ان النبي صلى الله عليه وسلم كانت فيه دعابة وذلك انه كان مع المزح والانبساط
التحبب والقبول لسيما مع الاهل والاصحاب وقد مدح بمثله الاشراف
والكرام كما قال الشاعر • هو الطير الميمون ان راح او غدا به الركب والتعابد
المنجب ويحكى مثله عن جماعة من الصحابة والائمة مثل علي وزيد بن ثابت وابن سيرين

والشعبي وغيرهم ولا اعلم احدا منع الدعابة مع الاهل والانبساط
مع العامة واهل البيت • وقد قال عمر رضي الله عنه ينبغي للرجل ان
يكون في اهله كالصبي واذا التمس ما عنده وجد رجلا وعن زيد بن ثابت
انه كان من افكه الناس في اهله وازمتهم اذا جلس مع القوم واما ما روي
في ذم المزاح والنهي عنه مثل ما اناه القاضي محمد بن اسمعيل عن ابي الوليد
هشام بن محمد بن مسلمة عن ابي محمد بن النحاس عن ابي سعيد بن الاعرابي
عن محمد بن عبد الله الحضرمي نا ابن نمير نا المحاربي عن ليث عن عبد الملك
عن عكرمة عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تمار
اخاك ولا تمازحه ونا احمد بن محمد الخولاني اجازة عن ابي عمر الطلمنكي
عن احمد بن عبد الله عن ابي سعيد بن الاعرابي عن ابي داود نا سليمان بن عبد
الرحمن نا شعيب بن اسحق عن ابن ابي ذئب عن عبد الله بن السائب عن
عن جده عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا ياخذ احدكم متاع اخيه
جادا ولا لاعبا • وقول عمر بن عبد العزيز اياي والمزاح فانه يجر القبيحة ويورث
الضغينة وقول خالد بن صفوان المزاح سباب النوكى فليس هذا من
المزاح المحمود المباح فان ما يهيج الضغائن ويعد من السباب والكذب
او يتسلط به على عرض رجل او ماله فليس هو من المزاح المحمود
ولا هو من جنس ما مازح به النبي صلى الله عليه وسلم فانه ليس
من مزاح النبي صلى الله عليه وسلم شي زايد على خفض الجناح في
بسط الجانب وجلب التودد وقد ذهب الى انه يسقط الهيبة
كما قال اكثم بن صيفي فلعله في الاكثار منه والتخلق به حتى يؤدي
الى سقوط المروة واستشعار سمة السخف والمجانة واما المحمود منه
ما قل وندر واستجمت به النفس عند كلالها كما قدمناه في اول
الكتاب وبيناه وبسطت له النفس لغير عند انقباضها كما شرحناه
وقد قال ابو الفتح البستي افد طبعك المكدود بالجد راحة يجم
وعلله بشي من المزح ولكن اذا اعطيته المزح فليكن بمقدار ما تعطي
الطعام من الملح واما قول من قال انما سمي المزاح مزاحا لانه زاح
عن الحق فلا يصح لفظا ولا معنى اما المعنى فقد كان صلى الله عليه وسلم

يمزح ولا يقول الا حقا واما اللفظ فان الميم في المزاح اصلية ثابتة
في الاسم والفعل ولو كان كما قال لكانت زائدة ساقطة من الفعل وانشد
ابو عبيد لبعضهم في ذمه فاما المزاحة والمراء فدعهما خلقان لا
ارضاهما لصديق اني بلوتهما فلم احمدهما لمجاور جارا ولا لرفيق
وانشدت في هذا المعنى مما قلته قديما وهو من المتشابه لفظا في
اذا ما بسطت بساط انبساط فعنه فديتك فاطو المزاحا فان المزاح
كما قد رواه اولو العلم قبل عن العلم زاحا وفيه من الفقه ان المشبه
بالشيء لا يتنزل منزلته في كل شيء والنبي صلى الله عليه وسلم قد شبه
نفسه النفيسة في صحبته عائشة رضي الله عنها بابي زرع ومن فعل
ابي زرع معها الطلاق فلم يكن لازما ولو ان رجلا ذكر امراة له قد
طلقها ثم قال لاخرى وانت مثلها فوصفها لا وجهة اخرى لها من اوصاف
كثيرة حسنة او ردية ثم ذكر انه طلقها ثم قال للاخرى وانت
مثلها ولم ينو مثلها في الطلاق لم يلزمه الطلاق وحمل على مراده
من التشبيه لها فيما تقدم ذكره ولم يلزمه طلاق حتى ينوي
مثلها في الطلاق او يكون لم يذكر شيئا من الاول سوى الطلاق
مثل ان يقول فلانة طالق او قد طلقتها او فلان طلق زوجه
فلانة ثم يقول لزوجه الاخرى وانت مثلها فهذا يلزمه الطلاق
نواه او لم ينوه اذا قامت عليه باللفظ بينة اذ لا احتمال لقوله سوى
الزام الطلاق **تنبيه** ذكر بعض من تكلم على معاني الحديث
ان في هذا الحديث من الفقه قبول خبر الواحد قال لان ام زرع اخبرت
بما اخبرت فامتثله النبي صلى الله عليه وسلم قال الفقيه القاضي
رضي الله عنه هذا كلام من لا يعرف خبر الواحد ولا قوله والنبي صلى الله
عليه وسلم لا تقول انه امتثل حال ابي زرع في احسانه لام زرع بل قد
لا ان كذلك وانما اخبر عائشة انه لها كابي زرع لام زرع الا انه
كيف قال كنت لك فاخبر عن حال كائنة ثابتة وان كان انما تاسى
بشيمة ابي زرع كما قال المهلب فقال ان فيه التاسي باهل الاحسان من كل
امة فليس هذا من باب قبول خبر الواحد لان التاسي بمحاسن الاخلاق

شيمة

شيمة اهل الفضل وامتثال محاسن السير وشمائل اولي العدل وخبر
الواحد باب اخر ماخذه ومستنده الى صاحب الشرع وقبوله وامتثال
مقتضاه حكم طريقه عند اهل التحقيق القطع وفيها المعاني من القول
كفاية لا يحتمل اكثر منها الوسع **بيان** ونحن الان نفي بما وعدناه
من ذكر ما اشتمل عليه هذا الحديث من ضروب الفصاحة وفنون البلاغة
والابواب الملقبة بالبديع في هذه الصناعة من لفظ رائق ومعنى فائق
ونظم متناسب وتاليف متعاضد متناسق وبالجملة فكلام هؤلاء النسوة
من الكلام الفصيح ذي الالفاظ الصحيحة الاغراض البليغة العبارة البديعة
الكناية والاشارة الرفيع التشبيه والاستعارة وبعضهن ابلغ فيه
واعلى يدا وان طولا وامكن قاعدة واصالة وكلام بعضهن اكثر رونقا
وديباجة وارق حاشية واحلى مجاجة وبعضهن اصدق في الفصاحة
لهجة واوضح في البيان محجة وابلغ في البلاغة والايجاز حجة فانت
اذا تاملت كلام ام زرع وجدته مع كثرة فصوله وقلة فضوله
مختار الكلمات واضح السمات نير القسمات قد قدرت الفاظه
قدر معانيه وقررت قواعده وشيدت مبانيه وجعلت لبعضه
في البلاغة موضعا واودعته من البديع بدعا واد المعجب كلام التاسعة
صاحبة العماد والنجاد والرماد لفنيها الافانين البلاغة جامعة ولعلم
البيان رافعة وبعصا الايجاز قارعة واعتبر كلام الاولى فانه مع
صدق تشبيهه وصقالة وجوهه قد جمع من حسن الكلام انواعا
وكشف عن محيا البلاغة قناعا وقرن من جزالة اللفظ وحلاوة البديع
وضم تفاريق المناسبة والمقابلة والمطابقة والمجانسة والترتيب
والترصيع فاما صدق تشبيهها فعلى ما شرحناه قبل والتشبيه احد
ابواب البلاغة وابدع افانين هذه الصناعة وهو موضوع للجلاء والكشف
والمبالغة في السلد والوصف والعبارة عن الخفي بالجلي والمتوهم بالمحسوس
بالمحسوس والحقير بالخطير والشيء بما هو اعظم منه واخسر واحسن
وادون وعن القليل الوجود بالمالوف المعهود وكل هذا لتاكيد البيان
والمبالغة في الايضاح فانظر اين قول القائل الذين كفروا اعمالهم لم ينتفعوا

من قوله تعالى الذين كفروا اعمالهم كسراب بقيعة الاية وتامل بون
ما بين الموضعين من البيان وفرق ما بين الكلامين في الايضاح
وان كان الغرض واحدا والموضوع سواء، وكذلك قول امراة زوجي كجمل
لا يوصل الى شيء مما عنده وبين كلام هذه المراة المتكلم عليه ووجه
بلاغة التشبيه ما فيه من الجلاء والايضاح كما قدمناه واكثر تشبيهات
الكتاب العزيز من هذا النمط كقوله تعالى مثل نوره كمشكاة فيها
مصباح الاية ومثل الحياة الدنيا كماء انزلناه من السماء الاية
او لما فيه من المبالغة والغلو وهو من ابواب البلاغة ومرجعه
الى البيان والايضاح كتسميته الشيء بما هو اعظم منه واكبر نحو قوله
تعالى وله الجوار المنشات في البحر كالاعلام او افضل منه واحسن
كانهن الياقوت والمرجان او احقر منه وادون كقوله كمثل الكلب الاية
او لما فيه من التخريج والتوليد لغريب الشبه وتخيله المثال وهو وجه
بلاغته كقول المعري • في كف الثريا • كان بمنصها سرقتك شيئا •
ومقطوع على السرف البنان   وقد يقع تشبيه الشيء بالشيء تشبيها
محمودا لضرب من الشبه لتشرح شيء من الابواب المتقدمة كقول امرئ القيس •
كان قلوب الطير رطبا ويابسا لدى وكرها العناب والحشف البالي
لكنه بالحق بنوع   والتخريج الذي بلاغته الفطنة لادراك الشبه
لا غير وصدقته فيه وان كان لبعضهم في هذا   مقال لا ان تشبيه
ولابد ان يكون التشبيه صادقا فان الكذب الذي وقع به التشبيه والا
اختل به الكلام وهذه المراة فقد شبهت بخل زوجها وانه لا نيل لها
عنده مع شراسة اخلاقه وكبر نفسه بلحم الجمل الغث على راس الجبل الوعر
وشبهت وعورة خلقه بوعورة الجبل وبعد خيره ببعد اللحم على
راسه والزهد فيما يرجى منه لقلته وتعذره بالزهد في لحم الجمل
الغث فاعطت التشبيه حقه ووفته قسطه وهذا من تشبيه
الجلي بالخفي والمتوهم بالمحسوس والحقير بالخطير ومما جاء في كلام
صواحبها من التشبيه قول الثانية على مثل حد السنان المذلق
فصدقت التشبيه لانها اخبرت ان حالها معه من الخوف وعدم

الاستقرار

41

الاستقرار كمن هو على مثل حد السنان المحدد دائما ان تحيد عنه فتهلك
سقوطا او تثبت فتهلكها فبينت بهذا التشبيه قولها قبل ان اسكت
اعلق وان انطق اطلق • وكذلك تشبيه الاخرى زوجها بليل
تهامة وغث غمامه وهذا كله من تشبيه الخفي والمتوهم بالمحسوس
وهو من باب المبالغة وهو الغلو ومثل هذا قول ام زرع مضجعه
كمسل شطبة فهو من باب الغلو الى سائر ما عندهن من التشبيهات
فكلها احسان بينات قد تكلم الكلام عليها في مواضعها وقول
الثامنة المس مس ارنب • والريح ريح زرنب • تشبيه ايضا ولكن
بغير اداة التشبيه فان التشبيه على ضربين باداته وهي الكاف وكان
ومثل وشبه واخواتها وبغير اداة التشبيه ومثله قول ام زرع
يلعبان من تحت خصرها برمانتين على تاويل تشبيه النهدان ومثله
قول الرابعة والغيث غيث غمامه فهذا تشبيه بغير الة التشبيه
كقوله تعالى تمر مر السحاب • وكقول امرئ القيس سموت اليها بعد
ما نام اهلها • سمو حباب الماء حالا على حال ثم انظر حسن نظم كلامها
وتطارده ولحقه حقه من المؤلفة والمناسبة في الالفاظ التي هي راس
الفصاحة وزمام البلاغة فانها وازنت الفاظها وماثلت كلمها
وقدرت قرنها وحسنت اسجاعها فوازنت في الفقرة الاولى لحم براس في الثانية
وجمل بجبل وغث بوعث في الرواية الواحدة وجعل غث في الرواية الاخرى
فافرغت كل فقرة في قالب اختها ونسجتها على منوال صاحبها ومن هذا
الباب في القران العزيز في حسن التاليف • ومناسبة الالفاظ ومقابلة
الكلمات كثير كقوله اذا بعثر ما في القبور وحصل ما في الصدور •
وقوله فاثرن به نقعا فوسطن به جمعا على ان هذا داخل في باب
الترصيع ومنه قول السادسة ان اكل اقتف وان شرب اشتف
وان اضطجع التف • وقول الخامسة ان خرج اسد • وان دخل فهد • وقول
الرابعة لا حر ولا قر ولا مخافة • ولا سامة • وقول الثامنة المس مس
ارنب والريح ريح زرنب فهذا كله من حسن النظم ومناسبة اللفظ وهو باب
اخر من البديع يسمى المناسبة ومنه قول التاسعة رفيع العماد طويل

النجاد كثير الرماد فكل لفظة على وزن صاحبتها وكقول ام زرع اناس
من حلي اذني وملا من شحم عضدي وقولها صفر ردايها وملي كسايها
وقول النبي صلى الله عليه وسلم في حديثها لعايشة في الالفة
والرفا لا في الفرقة والخلا وقولها ارقد واتصبح واشرب فاتقمح
واكل فاتمنح وقول العاشرة قليلات المسارح كثيرات المبارك وفي
كلام الاولى نوع ثالث من البديع يسمى الترصيع وقد يسمى
بالموازنة وبالتسميط وبالتصغير وبالتسجيع وهو ان يتضمن
الفقر وبيت الشعر مقاطع اخر يقفوا في متماثلة غير فقر السجع وقوافي
الشعر اللازمة فيتوشح بها القول ويتفصل بها بعلم اللفظ كما
انا هذه بحمل في وسط الفقرة الاولى وجبل في وسط الفقرة الاخرى
ففصلت بذلك الكلام على حد من المقابلة اثنا السجعين اللذين
هما غث ووعث فجاء لكل فقرة سجعان متماثلان متقابلان ومثله
قول ام زرع في احدى الروايات لا تبث حديثنا تبثيثا ولا تنقث
ميرتنا تنقيثا ولا تعب طعامنا تعشيشا فان التزام الثاء في تعب و
بث وتنقث ترصيع لمقاطع اسجاع هذه الفقر وقول التاسعة شجك
او فلك او بجك او جمع كلا لك ومنه في الحديث قول علي رضي الله عنه
اتق الله لشويك واتق ربك وفي طيه باب رابع من البديع وهو مجانسة
جميل بجبل وهو ان لم يجانسه في كل حرف فقد جانسه في اكثرها
وقد اختلف ارباب البلاغة والنقد في هذا النوع اذ لم يكن مشتقا
من اصل واحد فسماها بعضهم مجانسة تغليبا للاكثر واما ابو
الفرج قدامة فسمى هذا النوع مضارعة وهذه مثل قول ام زرع ايضا
رجلا سريا ركب شريا وقولها بيتها فساح وفناوها فياح وقول
التاسعة عجره وبجره وقول ام زرع تعشيشا وتغشيشا واما التجنيس
الحقيقي فهو ان يكون في الكلام لفظتان احدهما مشتقة من الاخرى
كقوله تعالى ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم ويمحق الله الربا ويربي
الصدقات او بمنزلة المشتق كقوله تعالى تتقلب فيه القلوب
والابصار وقوله واسلمت مع سليمان وقوله صلى الله عليه وسلم

اسلم

اسلم سالمها الله غفار غفر الله لها وعصية عصت الله ورسوله •
وقول امرئ القيس • لقد طمح الطماح من بعد ارضه في امثلة كثيرة
او تكون لفظتان على صيغة واحدة مختلفة المعاني كقوله صلى الله
عليه وسلم الظلم ظلمات يوم القيامة ومن قول الفقهاء فيه قول
الافوه الاودي • واقطع الهوجل مستانسا بهوجل عيرانة
عنتريس وقريب من هذا الباب قوله تعالى وجوه يومئذ ناضرة الى ربها
ناظرة وولع المحدثون والمتاخرون بهذا حتى اكثروا منه فمن مقصر و
مجيد كقول البستي سمي وحمى بني سام وحام • فليس كمثله
سام وحام • وقول الطائي ان الصنايع منك قد نضدن على
ملق عظام لو علمت عظام • وقول الخطابي وكان عقابي في ملوك
عتاب • وكان ابو الفتح البستي يسمي ما كان على صيغة بيت الافوه
بالمتشابه واخترع قوم من المتاخرين انواعا غريبة سموها تجنيس
التركيب كقول المعري معالينا مغالبنا ومطايا او كهو
نوع متكلف غير حدود البلاغة ولكنه ربما بدر منه المستحسن
كقول الميكالي • تمت مجانسة فيما ترى بهما مع فصله وسخا
وكما له الا قصور وجود عن جوده لا عون للرجل الكريم كما له •
وقول البستي فهذا المهاجي منهاجي • وقوله فتعيني فان
تعني تعسى • وقول الاخر • الى اجلي مشى قدمي • ارى قدمي
اراق دمي • والحق به ايضا تجنيس التصحيف وهو مشاركة صور
الحروف في الخط دون اللفظ وهذا لا يدخل في باب البلاغة المستجادة
ولا المتخلفة اصلا ولا في شيء من حدود الكلام ولا اصنا عنده اذ لا
يقرع السمع منه لهجة ولا تقوم له في النطق حجة وقد رايت ابا
منصور الثعالبي قد عد هذا الباب في باب التجنيس وذكر فيه قوله
تعالى وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا واشباها لهذا من الكلام وليس
عندي من هذا الباب وهو من الباب الاول الذي سماه قدامة من المضارعة
وهو التجنيس في اكثر الكلمة او بعضها وذكر في هذا الباب قول بعضهم
النار في الفتيلة كالتعادي للقبيلة وقول بعضهم الصبح الصب

وسجف وسخف وصحاصح وضحاضح وشبه هذا فكم يحسن هذا ولو بقيل
شيئا لاجل صورة الحروف اذ لا حظ كما قلناه في الفصاحة ولا حظ له
من التجنيس وانما حسن لوزن الكلمتين واتفاق اواخرها وقرب مخارج
اوائلها او اواسطها فهذه هي انواع التجنيس الآن. قدامه بن جعفر
كان يسمي نفاق صيغتي اللفظة باختلاف المعنى الذي من جنس بيت
الافوه بالاطباق والناس كلهم على خلافه وقد رد قوله هذا الاخفش
ابو القاسم والامدي وغيرهما وحكوا ان مذهب الخليل والاصمعي
خلافه وقد اتت هذه المراة في كلامها بنوع خامس من البديع وهو المسمى
المسمى بالمطابقة عند الجمهور وهو مقابلة الشيء بضده فقابلت الوعر
بالسهل والغث بالسمين في الفقرتين الاخيرتين وهو مما يحسن الكلام
بمقابلته ويروق بمناسبته لا خلاف بين ارباب النقد في ذلك وانما
اختلفوا في تلقيبه وكان قدامه يخالف فيه ايضا ويسمي هذا المتكافي
ويخالفه في هذا الجميع ولا يكون هذا النوع عنده متكافيا الا اذا كانت
الكلمة وضدها الحقيقي كما وقع ههنا من مضادة السمين للهزال
والسهولة للوعورة ومثل السواد مع البياض والنطق مع السكون
فاذا لم يكن له ضد حقيقي ولا جامعه على طرفي نقيض بيني و
لكن على حد ما من التقارب كالبياض مع غيره والسواد مع الضوء
فبعضهم يجعله طبقا وبعضهم يسمي الاول طباقا محضا وهذا
طباقا غير محض وبعضهم يسمي هذا مخالفا والاول مطابقا ومن
الباب الاول قول الله تعالى ان ينصركم الله فلا غالب لكم وان يخذلكم
الاية وقوله تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى وقول النبي صلى الله عليه
وسلم لعائشة في هذا الحديث في الالفة والرفا لا في الفرقة والخلا فطابق
الالفة بالفرقة التي هي ضدها والرفا بالخلا ومثله قولها ام زرع
صفر ردائها وملء كسائها فصفر ضد ملء ومثله قول الثالثة ان انطق
اطلق وان اسكت اعلق فطابقت انطق باسكت الذي هو ضده وقول الرابعة
لا حر ولا قر وقول الخامسة ان دخل فهد وان خرج اسد فدخل وخرج
طباق في اللفظ واسد وفهد طباق من جهة المعنى ولكن لا يسمى طباقا وسمي

مقابلة ومنه قول العاشرة كثيرات المبارك قليلات المسارح ومثال
الوجه الثاني مقابلة وقعت على رواية من روى سهل واماطة الوعث
الصلب واللبد وضد السهل الوعر والحزن وان كان قد روي ايضا
بلبد وهذا ضد وعث فيكون طباقا حقيقيا ومن هذا الباب قول
ام زرع اشرب فاتقمح واكل فاتمنح فجانست بالاكل والشرب لتقاربهما
وتناسبهما وكذلك قولها الشبعة وتروية وقولها ملء كسائها و
صفر ردائها فجانست بالردا والكسا لمناسبتهما وقول السادسة ان اكل
وان شرب. وفي كلام هذه المراة اعني الاولى من الفصاحة وفنون البلاغة
نوع سادس من البديع وهو حسن التفسير وغرابة التقسيم وابداع
حمل اللفظ على اللفظ والمعنى على المعنى في المقابلة والترتيب وذلك في
قولها لا سهل فيرتقى ولا سمين فينتقى فانها قدمت ما ذكرت
وبينت حقيقة ما شبهت وقسمت كل قسم على حياله وفصلت
كل فصل من مثاله وجاءت للفقرتين الاولتين بفقرتين مفسرتين
وقابلت لا سهل فيرتقى بقولها لا سمين فينتقى وهذا اسمى
المقابلة عند اهل النقد لنسبتها على رواية وقعت في الثاني
بتقديم لا سمين فيكون اول تفسير لاول معنى وهو قولها كلحم
جمل والثاني للثاني فحملت اللفظ على اللفظ وردت العجز الى المقدم
والمؤخر الى المؤخر فقابلت معاني كلماتها وترتيب الفاظها ومثاله
قوله تعالى لا فيها غول ولا هم عنها ينزفون على ما قد مناه
اول هذا المجموع ومنها لانه مما يغني عن اعادته ولا اعلم في كلام
صواحبها له مثلا الا في التفسير قول الرابعة زوجي كليل تهامة
لا حر ولا قر ولا مخافة ولا سامة فانها اجادت التفسير وحسنت
التعبير بلى قوله صلى الله عليه وسلم لعائشة كنت لك كابي زرع
لام زرع في الالفة والرفا لا في الفرقة والخلا من هذا وما في كلام هذه
المراة من بديع البلاغة نوع سابع وهو التزام ما لا يلزم في سجعها و
وبعضهم يجعله احد انواع الترصيع في قولها فيرتقى فالتزمت التاء والقاف
في كل سجع قبل القافية وقافية سجعها الياء المقصورة وكذلك قولها في الرواية

الاخرى بنتقل وسوقل معانيها اللام والتزمت قبلها القاف
وهذا نوع زيادة في تحسين الكلام وتماثله واغراق في جودة
تشابهه وتناسبه ولهذا ان الاسجاع والقوافي في طلاوة وديباجة
يشهد الطبع ويجد الذوق وعليه المشابهة والمباشرة لا سيما
عند المقاطع وفصل الكلام وهو موجود للمتقدمين نظما ونثرا
واولع به المتاخرون وولعوا كثيرا في مجيده ومقصره وبالجملة فلا يحسن
منه ومن جميع ما محصنا القول عنده الا ما ساقه الطبع وقذفه الخاطر
دون تكلف ولا معاساة ووجد لفظه تابعا لمعناه منقادا له موضوعا
عليه غير متزعم له فيه ولا منافر له وقد جاء من مليح الالتزام في
كتاب الله تعالى في فواصله ومقاطع آياته ما لا شيء في الحسن والفصاحة
وقلة التكلف مثله كقوله تعالى والطور وكتاب مسطور ولا اقسم
بالخنس الجوار الكنس والليل وما وسق والقمر اذا اتسق فاما اليتيم
فلا تقهر واما السائل فلا تنهر وامرنا مترفيها ففسقوا فيها
وما انت بنعمة ربك بمجنون وان لك لاجرا غير ممنون وقوله فاذا هم مبصرون
واخوانهم يمدونهم في الغي ثم لا يقصرون وقوله كلا اذا بلغت
التراقي وقيل من راق وظن انه الفراق والتفت الساق بالساق الى ربك يومئذ
المساق في اشياء كثيرة والقران منزه عن ان يقال له سجع او على
اسلوب من اساليب كلام العرب ولكن الفاظه عربية وبلاغته جامعة لمحاسن
البلاغة معجزة بانفرادها على الصحيح موافقا لاهل الحق ومثاله ابيات
كلام صواحبها فقول ام زرع واشرب فاتقنح واكل فاتمنح وقولها
في وصف ابنة الجفرة ترا لبعره ثم لشرة وقولها ايضا في وصف الخادم
في بعض الروايات ولا تغش طعامنا تغشيشا ولا تملا بيتنا تعشيشا
وقولها رجلا سريا ركب شريا ثم ذكرت تعبد لك سريا وقول
السابعة شجك او فلك او جمع كلا لك وقول السادسة
ان اكل لف واشتف وقول الثامنة ارنب زرنب فروي سجعها الباء
والتزمت قبلها حرفين الراء والنون وجاء في كلام التاسعة ما لك و
ذلك ثم ما لك وهو ما لك والتزمت اللام في اكثر سجعها وفي كلام الثالثة

اطلق

اطلق واعلق ومن لق فالتزمت اللام المشددة قبل القاف سجعها
ومثل هذا الالتزام فهو المحمود لما فيه من عدم التكلف وفي قول هذه الاولى
ايضا نوع من باب البديع يسمى الايغال ويسميه قوم بالتبليغ وهو
ان يتم كلام الشاعر قبل البيت او الناثر قبل السجع ان كان كلامه
مسجعا او قبل الفصل والمقطع ان لم يكن كذلك فيأتي بكلمة
لتمام قافية البيت والسجع او مقابلة الفصل والمقطع تفيد معنى
زائدا كقول امرئ القيس كان عيون الوحش . البيت وشبه
عيون الوحش بالجزع فتم قوله ثم زاد الذي لم يثقب فزاده
كمالا ووفق الذي لزمه رشوها كالاخلاق للتركه اقتنم ثم قال المهلهل
فادا عنا فكذلك هذه لو اقتصرت على تشبيه زوجها بلحم جمل على
راس جبل لاكتفت ببعد مناله ومشقة الوصول اليه والزهد فيه
وهو غرضها لكنها زادت لسجعها غث ووعر معنيين سمين وبالغث
في القول فافادت بزيادتها انها في غاية الوصف فكان من هذا الباب
قوله تعالى كانهم حمر مستنفرة فرت من قسورة فان التشبيه اكتفى
بقوله حمر مستنفرة واسهل مستنفرة فلما قال فرت من قسورة
بالغ في وصف النفار واوغل في الاغيا فيه بذلك ومنه قوله
تعالى حتى عاد كالعرجون القديم وقوله فجعلناه هباء منثورا
فان القديم ومنثورا افادا زيادة في الوصف بعد اكتفاء المعنى
بما تقدمه قبل واستقلاله وفي قول الثانية سوى ما تقدم ذكرناه
في كلامها وكلام الثالثة والرابعة من مناسبة ومطابقة والتزام
وتشبيه اشارة الى الاستعارة بقولها اعلق فان الشي المعلق
ليس بمطمئن الثبوت والقرار في السفل ولا في العلو وهو بين
الحالين ولهذا قيل علقت هذا الامر اي تركته مرددا بين الامضا
والترك وقيل للمرأة اذا لم تكن مطلقة ولا مراعاة الصحبة معلقة لذلك
تشبيها بالشي المعلق والاستعارة في الحقيقة نوع من التشبيه
الا انها قد انفصلت عنده في الصيغة واللفظ وقد فصل ابو الحسن الرماني
بينهما بان التشبيه له اداة بينه حروف التشبيه ولا اداة للاستعارة

والخوف فأنّ غير أن الفرق بينهما غير هذا اذ قد يكون التشبيه باداة
وغير اداة بلى ان التشبيه مبني على وضعه ممثل به والاستعارة
منقول لغير موضعها مستعملة استعمال غيرها للابانة وقد اشار الى
هذا الرماني ايضا والاستعارة باتفاق من اهل البلاغة ارفع درجات
البديع واعلى محاسن الشعر وانق سطر الكلام واعجبه فان البليغ
ولهذا امو قع في الابانة لا نعمه سواها ومنزع في الايجاز والاختصار لا
يوجد في غير بابها فانظر ما بين قولك كثر شيب راسي وقوله تعالى
واشتعل الراس شيبا وبين قولك تذلل لهما وقوله واخفض لهما
جناح الذل من الرحمة وبين قولك انتشر ضياء الصبح حتى غابت النجوم وقول
ذي الرمة واقف الثريا في ملاءته الفجر ° وبين قولك فرس سابق الاوابد
حتى كانها مقيدة لم يستقد ولا جرت نعمة حين جرى من قول امرى القيس
قيد الاوابد وكذلك انظر قول التاسعة رفيع العماد على من جعله الحسا من هو
في باب البلاغة من قولها لو قالت زوجي شريف وحسيب وانظر ايجاز قولها
ايقن انهن هوالك ومما تحته من المبالغة في كثرة نحره واستمرار عادته
وجلالها وقصد من ذلك باستعارتها لهن اليقين ومابينه وبين قولها
لو قالت اذا ضرب المزهر نحرن وان كانت المعاني في هذا كله واحدة
والمقاصد متفقة ولكن الاستعارة فضلها ن والابلاغ وحسن طلاوة
وابداع وجودة اختصار في بعض المواضع وايجاز كما ورد في قول
الخامسة ان دخل فهد وان خرج اسد فانها استعارت له في كل واحدة
من الحالتين خلق واحد من هذين الحيوانين فجاء كلاهما على غاية من الايجاز
والاختصار ونهاية من المبالغة والبيان فان مثل قولها فهد واسد
اذا دخل تغافل وتنام واذا خرج صال وشجع ولكن ليس مقتضى هذا انه ابدا
في دخوله وخروجه بهذه الاوصاف فلما استعارت له خلق هذين
السبعين في الحالتين اللازمتين له المختصين بوصفهما اعربت بذلك
عن تخلقه بهما والتزامه لوصفيهما وعبرت عن جميع ذلك كله بكلمة كلمة
كل واحدة من تلك حروف وحسنة التركيب غير عسيرة مع جمالهما في اللفظ
ومناسبتهما في الوزن وسهولتهما في النطق ثم جاءت باشارة بديعة عن

كرهه

45

كرهه وكثرة جوده وبذله ما بيده او للاحتياط بالحزم لجميع اموره بقولها
ولا يسأل عما عهد فان هذا نوع من الاشارة وضرب من الكناية وهو عندي
ادخل في باب التتبيع والارداف وكله من باب الكنايات والاشارات وهو التعبير
عن الشيء باحد توابعه كما سنبينه واما كناية السادسة بقولها لا يولج
الكف على المذهب لتصحيح فمن الكنايات الحسنة كما فسرناها قبل في شرح
كلامها وكذلك قولها واذا اضطجع التف من هذا الباب وهو داخل في باب
التتبيع والارداف لانها عبرت بقولها التف واكتفت عن الاعراض
عنها وقلة الاشتغال بها او ذكرنا هنا ما في كلامها من مناسبة وملائمة
وطباق والتزام ومضارعة كما ذكرنا في كلام السابعة من ترصيع والتزام
مع ما فيه من حسن التقسيم وبديع الوحي والاشارة بقولها كل داء له
فهذا من لطيف الوحي والاشارة على مذهب قدامة بن جعفر وقد كان
انطوى تحت هذه اللفظة كلام كثير واشتملت هذه الكلمة على شرح
كقول امرئ القيس يعطيك قبل سؤاله اذا ناس جرى فحث قوله
اناس جمله كثيرة واما على ما حكاه الحاتمي عن غيره فان الوحي والاشا
رة وجوه الاستعارة لقوله جعلن الشيف بين الحيد منه وبين
سواد لحيته عذارا ومن باب الوحي والاشارة عندي على القول الاول
قوله تعالى قضي الامر وقوله تحسبون كل صيحة عليهم وقوله
لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا وقوله عز اسمه فغشيهم من
اليم ما غشيهم وهذه جمل ابانت بوجازة الفاظها واعربت بلطائف
اشاراتها عن معاني كثيرة وفصول طويلة فهي كما قيل البلاغة
لمحة دالة وفي قول الثامنة سوى ما ذكرناه من المناسبة والالتزام
صحة المقابلة وهي من انواع البلاغة وذلك في قولها واغلبه
والناس يغلب فقابلت غلبتها اياه بغلبته للناس وهو مطابقة
من جهة المعنى وفي هذه الفقرة نفسها نوع اخر من البديع يسمى التتميم
فانها لو اقتصرت على قولها واغلبه لما كان مدحا ولتخيل انه جبان
ضعيف فلما قالت والناس يغلب دل ان غلبتها اياه من حسن عشرته
وكرم سجاياه فتممت بهذه الكلمة قصدها واتت بجملة ما عندها

ومثله قوله تعالى كوني بردا وسلاما وقوله يخرج بيضاء من غير سوء ومثله
قول طرفة فسقى بلادك غير مفسدها صوب الربيع وديمة تهمي • وفي
قول التاسعة سوى ما ذكرناه من المناسبة والاستعارة نوع من
البلاغة يسمى الارداف والتتبيع وهو من احلى وجوه البلاغة
وارق انفاس البديع وكذا من الايجاز والاختصار المحلى الرفيع وهو
لاحق بابواب الاشارة والوحي والكناية وموضوعه ان يقصد الابانة
عن معنى فيترك اللفظ الخاص به الموضوع له ويعبر عنه بلفظ من
توابع معناه اللازمة واسبابه المتعلقة وارادفه المتضمنة وهو نوع
سماه البلغاء بالارداف وبعضهم بالتتبيع وفي الوصف والتعبير
معا بحاجة نوع من المبالغة ومنه قوله مدهامتان فانه عبر بهذه اللفظة
الواحدة الوجيزة والكلمة المفردة البليغة عن نعمة هذه الجنة ونضارة
ثمارها وريها وجمال منظرها وتمام حسن اشجارها ورونق نباتها بتابع
من توابعها وهي دهمة خضرتها التي لا تكون الا مع تناهي الري
وشباب النبات وعدم الافات وكذلك قوله تعالى في ذكر المسيح وامه
كانا ياكلان الطعام فعبر عن حدوثهما وابان عن حلول العوارض
البشرية بهما لحاجتهما الى اكل الطعام وكنى بذلك اشارة الى ان من ياكل
الطعام يكون منه الحدث وكل هذا مناف لصفات الجلال والالهية
فتضمنت الاية الارداف والتتبيع والكناية والوحي والاشارة فان تحت
قوله ياكلان الطعام معاني عظيمة وفصولا كثيرة ويجب ان يتحقق
ان الوحي والاشارة قد تنفرد خصوصها احيانا مع الارداف والتتبيع
ومع الكناية كما في هذه الاية واحيانا يدخل في باب الاستعارة كقوله
قيد الاوابد في الابواب لشبه الاستعارة والوحي والاشارة والارداف
والتتبيع واحيانا ياتي الكناية والارداف كشيء واحد كما في هذه الاية
فانها يدخل في باب الوحي والاشارة وفي باب الكناية والتعريض وفي
باب الارداف والتتبيع وذلك ان وجه بلاغة هذه الابواب واحد وهو
المبالغة في الوصف والايجاز ولذلك يشاركها الاستعارة احيانا
فتامل هذه التشبيهات تستفد بها معنى ما تجده متفرقا ومختلفا

في كثير

في كثير ارباب هذا الشان من تسمية بعضهم شيئا بغير ما تسميه به الاخر
وادخال بعضهم الاية او البيت في الباب الذي يدخلها الثاني وعلة ذلك
ما قلناه من تغليب احد الالقاب عليه لظهوره في واحد الابواب اكثر
من ظهوره في الاخر فكذلك قولهم طويل النجاد فان طول النجاد من
توابع الطول ولو ارتمد فلن يطول نجاد احد الا اذا كان طويلا وكذلك
قولهم عظيم الرماد من توابع الكرم وروادفه لانه لا يكثر رماده الا •
لكثرة وقوده بالنيران للضيفان وكذلك قولها قريب البيت من النادي
من التتبيع البديع ايضا اذ العادة انه لا ينزل قرب النادي الا المنتصب
للضيفان فكان ردفا لجوده وكرمه وكان قولها طويل النجاد اكمل وابلغ
من قولها طويلا اذ ثم طول دون طول فلما عبرت عنه بما هو من
توابعه بقولها طويل النجاد ابلغت في طوله وكانها اظهرت طوله
للسامع صورة يراها مع ما في هذه الصيغة من طلاوة اللفظ مع الايجاز
اذ لو ارادت تحقيق طوله المحمود لطال كلامها وكذلك العبارة بكثرة
النيران ونزول قرب النادي مبالغة في الوصف بالكرم وتحت هذه الالفاظ
الوجيزة جمل كثيرة اغنت الكنايات اللطيفة • والاشارات الحقيقة عنها
لانها في البلاغة والمبالغة من قولها لو قالت زوجي كريم كثير الضيفان او اكرم
الناس واكثرهم ضيفانا فان واحدا من هذه الاوصاف على كثرة الفاظها ومبالغة
اوصافها لا ينتهي منتهى واحد من قولها عظيم الرماد او قريب البيت من
النادي ومن هذا الباب قول العاشرة فتكبلات المسارح كثيرات المبارك
اذا سمعن صوت المزهر ايقن انهن هوالك على ان هذه قد امتد نفسها
في الوصف قليلا ولكن باحسن عبارة واملح استعارة والطف اشارة وليس
من شرط الارداف والتتبيع ان يكون موجزا للفظ ولكن قد ياتي احيانا لذلك
ولكن ياتي في الكلام على هذا النحو كيف ما جاء من الديباجة والحسن الانسي
نفقد ومثله قول ام زرع اناس من حلي اذني فعبرت عن كثرة ما حلاها به
بما جد توابعه وهو صوت حركته ولا يكون ذلك الا مع كثرته ولو قالت
حلى اذني لم تقع من المبالغة وحسن البهجة موقع قولها اناس من حلي
اذني ومنه قولها اقول فلا اقبح وارقد فاتصبح واشرب فاتقمح واكل

فاتمنح فان تحت كل فقرة من هذه الالفاظ جملة من الكلام حسب ما قدمناه
فكنت عن العزة والكرامة عنده بانه لا تفتح قفلها وهو ردف من روادف
العزة لانه وفصل قضى لها ثابت فالتفت بذلك عما وراه وعبرت
عن ترفيهها عن المهنة واعفائها من الخدمة وكونها مكفية المؤنة
مدللة ذات خدم وسعة بنومها الصبحة اذ لا تنام بها بهذه الصفة
نوابات عن رغد عيشها وكثرة نعمتها ووفور طعامها وشرابها
وفضلته عن صاحبتها بقولها اتمنح واتقمح اذ لا يكون الري بعد
الري ولا تمنح المراة وتعطي مع وصفهن بالبخل الا مع كثرة الشي وتعد
فضلته عن حاجتها ومن بديع هذا الباب قول ام زرع مل كساها
وصفر ردائها فعبرت عن اعتدال خلقها وتقسيم جسمها بين الرقة والغلظ
وكون كل عضو منها مو في حقه تابع من تواتبعه وهو ملي الكسا وصفو
الردا ثم جمعت كل ثنا وطوت كل مدح وادمجت كل حسن من خلق وخلق تحت
لفظتين بقولها غيظ جارتها فهو من باب الارداف وان نشت من باب
الوحي والاشارة فقد ذهبت بهذه اللفظة من الايجاز كل مذهب واتت فيها
من البلاغة والمبالغة والعلو بكل معجزة من كلام ام زرع من البديع
مع حسن التسجيع وكذلك في كلام هذه التاسعة بل كلهن حسان الاسجاع
متفقات الطباع غريبات الابداع غير مستكرهات الالفاظ ولا متلفقات
الفوايح ولا ملفقات الفواصل لا سيما هذه التاسعة فلا شي اسلس من كلامها
ولا اربط من نظامها ولا اطبع من سجعها ولا اعذب من طبعها وكانما
فقرها مفرغة في قالب واحد ومحذوة على مثال متوازن ثم مدت نفسها
في الفقرة الرابعة فاطالها شيئا استرواحا للخروج واشارة للقطع وهذا
حكم الاسجاع فانها تحتاج الى تقدير ونكره فيها التطويل فان وقع في اول
فقرة من الفقرتين كان عيبا وخرج عن حد البلاغة به الكلام وهو في
اخر الفقرتين غير معيب بل انما جاء مستحسنا لا سيما ان توالت الفقر على
سجع واحد وجاءت على تقدير متناصف فالخروج من اخرها بعيد زيادة فيها
على تقدير اخواتها احسن في السجع واوقع في السمع وهذا ما لا ينكره حسن
الذوق في الكتابة ولا يجهله الا مطبوع الطبع في الخطابة واما تكرار ام زرع

اسم

اسم ابي زرع في كلامها وتصريحها به في اول فصولها فليس من عيب
الكلام ولا من باب التكرار لان التكرار المعيب انما يكون اذا كان في جملة
واحدة واما مع اختلاف الجمل وبعد ما بينها فليس بعيب ولكنه منه
ما يكون محتملا ومنه ما يكون حسنا من باب البلاغة كقولها ابو زرع
فان التصريح هنا ابلغ من الكناية لما فيه من التعظيم والتعجب كما قلنا في
العاشرة مالك وما مالك وقوله تعالى الحاقة ما الحاقة فقد تقدم غيرها
فيه ما اغنى وانما يقبح اذا كان على غير الوجه وكان في جملة واحدة واما في
جمل مختلفة فليس يقبح قال الله تعالى مثل ما اوتي رسل الله الله اعلم
حيث يجعل رسالاته وقد عد الحاتمي وغيره بعض هذا النوع من باب البديع
وسماه الترديد وهو ان يعلق الشاعر لفظة في البيت والناثر في الفصل بمعنى
ثم يرددها فيه ويعلقها بمعنى اخر كقول زهير لتسال ليلى مما يلبس الكباليا
فكر فلو ولتسر ونازعه في ذلك الخفاجي وقال ان هذا الترديد كسا في التاليف
قال الفقيه القاضي الاجل وفقه الله وسدده والذي عندي ان ما كان من
ذلك يضطر الكلام اليه ولا يتم المعنى الا به فهو على ما قاله الحاتمي
وهو يفيد الكلام حسنا ورونقا لما فيه من مجانسة اللفظ والمعنى بنحو ما
ذكرناه من المثال ومثله قوله تعالى واذا رايت ثم رايت نعيما وملكا كبيرا
وقوله الذي علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم وما كان منه على غير ذلك
فكان من جملة او جملتين كقول الفرزدق • لعمرك ما معن بتارك حقه ولا
منسئ معن ولا متيسر • وقول الاخر • لا ارى الموت يسبق الموت شي نغص
الموت ذا الغنى والفقيرا • وقول امرئ القيس • الا انى بال على جمل بال يقود
بنا بال • ويتبعنا بال فغير مستحسن بل هو قبيح الا ان ياتي للتعظيم
كقوله تعالى الله اعلم حيث يجعل رسالاته وعليه حمل
بعضهم ما تكرر في البيتين الاولين من ذكر معن والموت او للتاكيد
كقوله تعالى فان مع العسر يسرا ان مع العسر يسرا على قول بعضهم و
كتكراره صلى الله عليه وسلم كثيرا من كلامه او للبيان كقوله تعالى الذي
خلق خلق الانسان من علق وقوله الذي علم بالقلم علم الانسان
ما لم يعلم او يكون تكراره لكل لفظ مما يستلذ الناطق به كما قال و

وبالافواه اسما وهو يحلو . وقد قال المعري في قول الشاعر . الا حبذا
هند وارض بها هند وهند اتى من دونها الناي والبعد فقال ان حبه
لهذه المراة لم يزد تكريرا اسمها عيبا فهو يجد للفظ بها حلاوة فام
زرع في تكرارها اسمه في فصول كلامها مصرحة بها غير مضمرة له ولا
مكتنفية بما تقدم من اظهاره اما العظمة في نفسها وبارة هادة وفخرها
او للحلاوة ذكره في فمها ومكانته من قلبها لئلا يبلا اخر الحديث
او للابانة وصفها وكشف اللبس في قصصها لانها الوقت امته
او جاريته وطهارته ومما له وصيفة على ما ورد في بعض الطرق
حتى كلبه فقد ذكر ابن الانباري وابو القاسم البغوي من رواية هشام
بن عمار عن عيسى بن يونس عن هشام بن عروة عن اخيه عبد الله
عن عروة انه قال وقد كانت عائشة وصفت لي كلب ابي زرع فاشتبه
فلو ذكرت ام زرع هذه الاشيا مضافة بعد وصفها لابنه لادخلت
الابهام بينه وبين ابنه فكان قولها بنت ابي زرع جارية ابي زرع ...
ابو زرع احلى في الوصف اسما مع ان تكرار ذكره انما هو في ابتدا جملة
واستيناف قصة فهو غير قبيح واما تكرارها في اول كل قصة اسمه
مرة اخرى في قولها فما ابن ابي زرع فما جارية ابي زرع فقد تقدم
انه بمعنى التعجب والتعظيم وان الوجه فيه الاظهار وهو الفصيح لانه
المقصد والغرض من التنويه وفي الاضمار اخفاء وتنويه هنا انتهى
بنا القول فيما حررناه من الكلام في هذا الحديث وقد احتوى
على جمل من فنون العلم حسان ونقر من ضروب الادب غراب وخرجنا
فيه نحو عشرين مسلة من الفقه ومثلها من العربية مع كثرة ما ذكرنا
فيه من كلام الشارحين واصحاب المعاني وترجيح الصواب ونقليد
كثير مما لم يتقدم فيه كلام بلغه علمي وانتهى اليه ذكري واقتصرت
في اكثر ما ذكرته من اللغات على رفعها الى ذاكرها من مقانع هذا
العلم واستغنيت بذلك عن الشاهد الا في النادر حرصا على الاختصار
واكتفاء بمعتمدا ولكن لعذرة اذهم المقلدون في ذلك وذكرت الشواهد
في المعاني تمهيدا لها واظهارا لوجهها وحجة على صحة تاويلاتها

لاستراك

لاستراك الخواطر فيها ونوادر العقول عليها وحررت في هذا الفصل
الاخير من علم البلاغة واستشرت ما في كلامهن من سر الفصاحة
وعيب النقد وبديع الكلام ما فيه غنية لمتامله ممن
سدا في باب الادب شيا وتطلع لان يعلم صناعة تاليف الكلام
ونقد مناهج ارباب هذا الشان وعلى الله حل اسمه الاعتماد في
العفو عن الزلل والرغبة في غفران المباهاة في القول
والعمل فهو جل اسمه ولي الرحمة . وموفي شكر
النعمة لا اله غيره وصلواته على مصطفاه من خلقه
محمد نبيه وعلى اله وسلامه كثيرا تم
الكتاب والحمد لله حق حمده
وصلواته على خير خلقه
محمد عبده ورسوله واهله وصحبه
وسلم تسليما كثيرا كثيرا
وحسبنا الله
ونعم الوكيل
نعم المولى
ونعم
النصير